بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم إلى الساحة المقدسة لأبى عبدالله الحسين ﴿عليه‌السلام﴾

من قمة عاشوراء إلى بحر الظهور

الزيارة الحمراء؛ معنى الحياة في عصر الغيبة

إسماعيل شفيعي سروستاني

كَافَّةُ حُقُوق الطّبع وَ النَّشرِ وَ التَرجَمَةُ مَحفُوظَة لِلنَّاشِر
«موعود العصر(عج)»

لصاحبه

اسماعيل شفيعي سروستاني

ترجمة:

كاظم شماعيان

الطّبعَة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

ايران ـ طهران ـ شارع ولى عصر ـ شارع الشهيد دانش كيان ـ رقم ٣٣

ص ب ٨٣٤٧ ـ ١٤١٥٥

هاتف: ٨٨٩٤١٣٣٧ ـ ٠٢١ (٠٠٩٨)

٨٨٩٤١٢٣٥

فاكس: ٨٨٩٤١٤٠٢

الفهرس

تقديم ٧

الحسين(ع) مفسر معنى الموت ١١

زينب الكبرى، عليها السلام، مفسرة معنى الحياة ١٥

من قمة عاشوراء إلى بحر الظهور ٢١

آية المودّة ٢٤

العشق المقدس، الحقد المقدس ٣٠

مقام الزيارة ٣٥

زيارة عاشوراء، المنظومة الفكرية و العقائدية للإنسان الشيعى ٥٣

حكمة التاريخ والخريطة الإلهية العامة ١٠٤

السلسلة المقدسة للهوية الدينية ١١٢

ثلاثة منعطفات فى زيارة عاشوراء ١١٨

مسافر جادة الكمال ١٢٢

سُلم التقرب ١٣٤
الخشوع شرط التقرّب ١٤٠
مكانة الإمام الحسين، عليه‌السلام..... ١٥٤
مدى التقرب..... ١٦٥
١. التحرک نحو الإمام (الواجب الأول) ١٧٨
٢. الإستسلام وتسليم جميع الأمور للإمام (الواجب الثانى) ١٨٢
٣. تجديد العهد مع الإمام (الواجب الثالث) ١٨٥
٤. دعوة الناس نحو الإمام (الواجب الرابع)..... ١٩٢
ثبت المصادر والمراجع ١٩٣

تقديم

إن **معنى الحياة،** هو جوهر الحياة و وجود الإنسان في الكون.

إن كل الإرتباك والإضطراب والإنفعال والغفلة يعود إلى غياب المعنى السامي للحياة. إن من يسير في بيداء الحياة من دون دليل ومرشد، يمر بتقلباتها وتيهها وحيرتها. وكل هذا ينمي بذر الفساد والضياع في عقر جسم الانسان وروحه، لكي يضع ثمرة سوداء على أغصان حياته.

إن الإنهماك بالروتين اليومي والصورة المنسوخة والممسوخة للحياة، يعمي الإنسان ويجله أصم ويحثه على الدوران العبثي حتى تصبح خلاصة روحه، شرابا لمجلس نزوات الأبالسة.

قرأت في مقال: ان روبرت فولغام سأل في كتاب عنوانه «المرآة» فيلسوفا يونانيا يدعى بابادروس حول معنى الحياة؛ وتابع يقول:

لم ينته سؤالي حتى انفجر التلامذة في الضحك عند سماعهم عادة هكذا اسئلة. فرفع المعلم يده إلى أعلى لتهدئتهم. ومن ثم نظر إلي لعدة دقائق. كنت أشعر أنه يسألني بنظراته عما إذا كان سؤالي جادا أم لا؟! وعندما تقين باني لا أنوي المزاح معه، قال:

سارد على سؤالك. ومن ثم أخرج محفظة نقوده من جيبه واستخرج منها قطعة مرآة صغيرة مستديرة حجمها كحجم العملة المعدنية وقال:

لقد كانت الحرب قد بدأت عندما كنت طفلا صغيرا. لقد كنا فقراء جدا ونعيش فى قرية نائية. عثرت ذات يوم على قطعة مرآة متكسرة فى الطريق بالقرب من منزلنا. [وهناك] كانت دراجة نارية لجندى ألمانى قد تحطمت بشدة. لقد حاولت كثيرا العثور على جميع قطع المرآة وارتبها بعضا مع بعض؛ لكن الأمر كان مستحيلا. ولذلک احتفظت باكبر قطعة منها ومن ثم صقلت حافة المرآة بحجر وجعلتها مستديرة. ولاحقا كنت ألعب بهذه المرآة وانجذبت لهذا من أن بوسعى بواسطة هذه المرآة أن أجلب النور إلى الأماكن المعتمة التى لا تنفذ اليها الشمس إطلاقا، أى الثقوب المعمقة والثغرات وخزائن الملابس. ان إيصال النور إلى المواقع التى لم يكن يصل إليها النور أبدا، كان لى بمثابة لعبة ممتعة. فاحتفظت بالمرآة الصغيرة وواصلت هذه اللعبة فى أوقات الفراغ. وعندما كبرت، فهمت بان هذه لم تكن لعبة طفولية فقط، إنما استعارة لإسلوب يجب أن أتبعه فى الحياة. كنت أعرف بانى لم أكن النور أو مصدر ايجاده، لكنى أقدر من خلال التفكير والمعرفة أن أعكس النور إلى اكثر المواقع ظلمة وعتامة.

والان أعرف بأنى قطعة صغيرة جدا من مرآة ضخمة. إنى لا أعرف التصميم والشكل العام لتلک المرآة، لكنى على ثقة بان هذه القطعة الصغيرة، تملک بحد ذاتها، خصوصية وميزة تلک المرآة الكبيرة وهى قادرة على إيصال نور الحقيقة إلى الزاويا المعتمة للقلوب. وإن صدّق الاخرون بانهم قطعة من

تلک المرآة فان بوسعنا جنبا الى جنب، صنع مرآة كبيرة واضاءة جميع المواقع المظلمة.

وهذا بالضبط هو الشئ الذى أبحث عنه. فهذا هو معنى حياتى. ومن ثم أمسک بابادروس بالمرآة بدقة، وعكس شعاعا من نور كان يسطع من عمود من نور الشمس كان يدخل إلى الصالة عبر نافذة، على وجهى ويدى. ربما كان يريد القول بأن نوصل النور إلى المواقع المظلمة والمعتمة، أن نجلب الأمل إلى المواقع التى تفتقد اليه وأن نخطو على وقع النور الإلهى.[۱]

إن من الصعوبة بمكان، الحديث عن سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين(ع). وهذا الكتاب، لا يزعم معرفة ودرك المقام الرفيع لهذا الامام ونهضته الدامية، بل جعل من الحوار ذريعة عسى أن يكون جزءا من لطف هذا الامام الخالد في التاريخ باذن‌الله.

إن التوجه الرئيسي للكتاب، وجهود الكاتب، منصبان لتبيان موقع واهمية **معنى الحياة** في رحلة الانسان في ميدان التاريخ والمعنى المستتر في «**زيارة عاشوراء**»، الوجه المهم الذي يُغفل دائما أثناء قراءة هذه الزيارة الاصيلة، وآمل ان أكون قد أديت واجبي.

وعشية شهر محرم الحرام لعام ١٤٣٥ للهجرة، أقدم هذا الكتاب إلى الساحة القدسية للحسين‌بن علي عليه‌السلام، عسى أن ينال رضاه. إن شاء الله.

إسماعيل شفيعي سروستاني

٢٣ ذي‌الحجة ١٤٣٤ للهجرة

---

١. فولغام، روبرت، المرآة، ترجمة فاطمة امامي، صحيفة ايران، العدد ٣٧٥٢.

◆ الفصل الأول

- الزيارة الحمراء
- معنى الحياة في عصر الغيبة

الحسين(ع) مفسر معنى الموت

إن الحديث يدور حول القدوات و اولئك الذين يجسدون بصدق معنى و حقيقة الحياة، وهذه الخصوصية تعود إلى رجل نهض بعد ما شاهد ضياع وعتامة قوم زمانه، ليصنع نموذجا وقدوة سامية لهم.

إن إنحباس الأنفاس في الصدور، والإستغراب والحيرة والبؤس، وهبوط سياط الناهبين على الأجساد، وعجز الأرجل عن المشي والذهاب والغفلة التامة التي أفرغت كل شئ من معناه، وغروب شمس الحقيقة خلف جبال الظلم الشاهقة، حرّكت رجلا مقداما من سلالة الحقيقة.

لقد نهض من مكانه ليضحي بنفسه ويقدم روحه، لكي يهدم جميع الجدران والستائر التي حجبت الشمس.

وتحول إلى حماسة و ملحمة في الأفئدة و حوارات في الألسن و بحث كبير في الرؤوس و قصة و أمنية في القلوب المشتاقة ومثالا يفسر الوجود و الصيرورة و الرحيل.

إن الحسين، عليه‌السلام، كان بداية قصة كبيرة وروحا في جميع الأجساد الهزيلة والمتجمدة! ونارا شبت في الكبير والصغير وحماسة مرت على جميع المدن والبلاد.

إنه الذي أصبح في ليلة ديجور، شعلة وضاءة متوجهة لتقذف النار في كل الصدور، وتوقظ الضمائر النائمة مع إطلاق أنشودة العشق في آذان الانفس.

لقد سار الحسين، عليه‌السلام، لينبذ مجمل الحياة الممسوخة ويزيل الشوائب والزوائد التي علقت على جدران حياة الإنسان، ليفهمه:

فى وقت نسيان الموت، فلا أساس للحياة، عسى أن يستشهدوا بالله ويتخلصوا من كل ذلک الظلام.

لقد أدرك الحسين عليه‌السلام، جيدا أنه لا صلة بينه وبين أبناء الظلام والخراب بالتبني. عبد خرّ ساجدا على عتبة المعبود ليصنع من التحرر والخلاص إماما لنفسه. إنه تحدث في الخطوة الأولى عن الشهادة ليعلن: أنه نهض لا من أجل الحياة بل من أجل الموت! وكان قد قال:

«سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيرا، وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموما وخالف مجرما
أقدمنفسى لاأريد بقاءها لتلقى خميسا فى الوغاء عرمرما
فإن عشت لم ألم وإن مت لم أذم كفى بک ذلا أن تعيش مرغما»

إن الحديث عن القدوات والعبء الثقيل الذي يحملونه، يعود إلى رجل يحمل على كاهله معاناة كل البشرية، في وقت ابتلع الظلام البلاد الاسلامية باسرها.

فقد بدأ الحسين، عليه‌السلام، ابن علي‌بن أبي‌طالب عليه‌السلام و فاطمة عليها السلام رحلة [وفتح دفترا] كان يجد فيها كل العالم والبشرية، تفسيرا آخر، خاليا من أي تحريف، كما كان هو قد بلغه عن طريق الحقيقة وأراده ليكشفه للجميع.

إن إلقاء نظرة على أوراق هذا الدفتر الضخم، يظهر بانه، الحسين عليه‌السلام، بدأ رحلته لا من أجل الحياة ولا للحكم على مدينة الصم والبكم، بل لتبيان آية الموت والشهادة، حينما لم تُشاهد أي علامة عن معنى الموت وحقيقته وسقط الجميع عندما نسوا الموت، في براثن فتنة الدنيا ولم تكن فيها أي موعظة ونصيحة، ذي فائدة وان الجهاز الدعائي للأجانب قد قلب بواسطة الموت، مفهوم الحياة رأسا على عقب بحيث أن أبناء البشرية، لا يتذكرون أي معنى واضحا للحياة، وأن الحياة لم تكن قائمة في الحقيقة بمفهومها الصحيح حتى يترتب عليها معنى صحيح ناهيك عن أن رجلا كالحسين عليه‌السلام، يريد أن يحرك في ذهنه، رغبة الحكم والإمارة على ذلك المستنقع العفن.

وترافقت بدايات رحلة الإمام الحسين، عليه‌السلام، مع كلام في وصف جمالية الموت، وخاتمته موت أحمر في وسط الميدان!، على أمل أن ينكشف وجه الحقيقة في أرض حافلة بالكدر وغطت الحجب السميكة، كالسحاب الداكنة، الحقيقة، بينما كان الضلال والإنحراف [عن الحق] قد زعزع نفوس الناس وأذلهم وأوهنهم، فلم يبق من كتاب الله والنبي وسنته، إلا إسم على غير مسمى.

وكان الحسين بن علي،عليهما السلام، يعرف جيدا بانه يجب أن تتضح مرة أخرى، منطلق رحلة الإنسان ووجهتها لكي يجد معها مغزى لصورة الحياة وسيرتها، لأنه سيتعذر سلوك الطريق وتحديد الوجهة في جادة الحياة وفي وقت التواجه مع الطرق الصحيحة والطرق الإنحرافية من دون أن تنجلي الغاية من السفر.

إن ما كان الحسين عليه‌السلام، يعتبره ضالة أهالي عصره، لا طريق الحياة، بل طريقة الموت، لأن كيفية الحياة، ستتجلى على خلفية ذلك الوعي.

إنه كان يفسر الموت، لأناس رماهم نسيانه، في مستنقع إسم بلا مسمى يدعى الحياة. وكان عليهم أن يتعلموا كيف يمكن السير على جادة الحياة تشوقا لنيل ذلك الموت الجميل.

وفي ذلك البحر والعصر، أحاط سوء فهم هائل، بالمسلمين من جميع الجهات، إنهم إنطلقوا من دون سند يستندون إليه. وهو المجاز الذي يغطي وجه الحقيقة، وكأن الجميع وضعوا يدا بيد، لإلباس جسم الخداع والحيلة والمكر والكذب، ثياب الصلاح، عسى أن يقضوا أيام حياتهم على الأرض في سعادة [وهمية].

وكل هذا، كان نتاج عصر أمسك فيه أكثر الحكام جهلا، بزمام الأمور وكانوا يحكمون الناس تحت واجهة أكثر رجال أهل الحقيقة، جدارة وكفاءة، وبالتالي جعلوا البؤس والشقاء من نصيب الجماهير عوضا عن الفلاح والسعادة.

وفي هكذا زمن، إن كان الحسين، عليه‌السلام، يمكث في بيته، لكان مسؤولا. إنه نهض صابرا محتسبا، من مكانه.

وكان واجبا على الحسين، عليه‌السلام، ليلبي دعوة حشود وينتفض، ويتجه نحو الناس ويتم الحجة، لئلا يتهامسوا في غد من أننا دعونا الحسين وامتلثنا لحكمه، لكنه لم يستجب!

و سلام الله عليه وعلى جميع أنصاره الأوفياء.

زينب الكبرى، عليها السلام، مفسرة معنى الحياة

إن نهاية قضية الإمام الحسين، عليه‌السلام، هي بداية لحضور بارع ورائع للسيدة الوحيدة التي يبدو أن مجمل مشهد عاشوراء كان قد حدث لكي تضطلع بدور، وإن النموذج الأزلي والمثال الأبدي الذي صنع في ظهر عاشوراء، كان سيبقى ناقصا من دون زينب، عليها السلام. وحقا أن قصة كربلاء لما كانت أن تكتمل من دون اضطلاعها بدور.

إن بداية حضور زينب، عليها السلام، هي نهاية قتال الحسين، عليه‌السلام، نهاية وقت تصدي رجل للموت الأحمر، لكي تنبثق من بعده، آداب وتقاليد جديدة وتبدأ سُنة جديدة، تلك التي تولت زينب، عليها السلام، كلها.

وعندما انقشع الغبار عن ساحة القتال، وخمدت طبول الحرب، نهضت زينب، عليها السلام، لتؤسس لسُنة كانت لتربط الحسين، عليه‌السلام، وكل الدور الذي اضطلع به بالأبدية.

إن زينب، عليها السلام، بنت علي، عليه‌السلام، والتي ترعرت ونشأت في بيت فاطمة، عليها السلام، وتربت في حضن أم، قامت في زمن الإضطراب ومآسي

الدهر، واختلاط الحق بالباطل، لتلقي خطبة ذودا عن الحقيقة، خطبة بليغة، مازال يُسمع دويها في زوايا مسجد النبي، صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا في عصر عاشوراء عندما كانت الشمس في طريقها إلى المغيب وكان الحسين،عليه‌السلام، مضرجا بدمه، وجدت زينب فجأة أنها يجب أن تكون مسؤولة أمام كل ما سيحدث من الآن فصاعدا.

وحتى قبل هذا، كانت ترى أن الحسين، عليه‌السلام، بجانبها والأبناء الذين كانوا يواجهون الخصم ببسالة وبسيوف سليلة، لكن لم يكن بعد ذلك ثمة رجل في الميدان للتعويل عليه في اجتياز ساحة «كربلاء». لذلك، تبدأ الحركة الحزينة والشجاعة في نفس الوقت لزينب، عليها السلام» بمفردها، مع حشد ممن واجهوا مصائب ومآسي، والذين عينهم على سواعد زينب، عليها السلام.

وأصبح لا بد لزينب، عليها السلام، أن تفسر معنى الحياة، ومن ثم المعنى الهائل للموت الذي تصدى لهم الحسين، عليه‌السلام، كليا.

وكانت بنت فاطمة، عليها السلام، قد سلكت الطريق ذاته الذي سلكه الحسين، عليه‌السلام، لكي تصل على امتداد الحياة إلى مكة ومن مكة إلى «صحراء كربلاء»، و كان أمامها الآن، بعد الحسين، عليه‌السلام، دليل واحد، دليل الحرية والأصالة والكرامة، ذلك الإنسان الذي كانت تنظر إليه طيلة حياتها بنظرة سامية وكانت تكن له كل المحبة والتقدير، واشترطت في صداقها للزواج من جعفر أن تكون معه و بجانبه.

وكانت زينب الكبرى، عليها السلام، مضطرة لمواصلة الطريق الذي كان الحسين، عليه‌السلام، قد بدأه. وكانت تسلك هذا الطريق مع مخزون من الصعاب

لكي تحفظ ذكرى الحسين، عليه‌السلام، وتحمي ذويه الذين يطيقون اليوم ضربات السياط.

وتنبلج زهرة الحياة من شجرة الموت المثمرة، وكانت زينب، عليها السلام، تتولى تفسيرها، لكن ما يتربص على الدوام بهذا التفسير الكبير للحياة والمعنى الهائل للموت الأحمر للحسين، عليه‌السلام، هو التحريف الذي يمارسه أبناء الشيطان بالتبني، وكان على زينب، عليها السلام، ورغم كل الصعاب والشدائد، صيانة ذلك التفسير، وأن تكون مبلغة ومبينة أمينة، خلال سلوك مسار كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام، لتحول دون أن تبدو حركة الحسين، عليه‌السلام، وكأنها قد انكسرت.

***

وتنطلق القافلة من دون أمير. وترتدي زينب، عليها السلام، ثياب الهمة والعزيمة، فتنهض. وتجمع بقايا قافلة «كربلاء» فتنطلق مع الثكالى والمحزونين إلى تلك المدينة التي كانت تعرف فيها حتى قبل هذا ببنت أمير المؤمنين، عليه‌السلام، وخليفة المسلمين. ودخلت مضطرة ميدان، كان المتفرجون فيه يتوقعون رؤية أسرى، لكنها خلقت دورا أبهرت وأدهشت من خلاله الجميع.

وبعكس ما كان يتوقعه المتفرجون المتسلقون الذين تمسكوا في غفلة تامة، بالحياة العارية عن أي مغزى. ولم يكن لكلام زينب، عليها السلام، أي نسبة مع حياة أهالي الكوفة وأولئك الذين يبتغون حياة الكوفيين ألى أبد الآباد. وربما كانت تفكر مع نفسها:

هل هنا، تلك الكوفة التي كنت أعيش فيها مع أبي؟ وهؤلاء هم نفس الأناس الذين قتلوا حسينا ويقفون الآن للتفرج على أسرته المسبية؟

وأطلت زينب، عليها السلام، برأسها من المحمل متوجهة إلى جاهلي حقيقة الموت والحياة، وقد مزقت بخطبتها هذه كل ستائر وحُجب وهم أهل الكوفة وخاطبتهم بعد الحمد لله والثناء عليه وكأن الصوت ينبعث من حنجرة علي، عليه‌السلام، قائلة «يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر...». لتهز بذلك المتفرجين الجهلة. وكان هذا أول خطاب للعقيلة زينب، عليها السلام، التي مزق كلامها الستائر التي كانت تغطي الحياة العفنة والقذرة والمليئة بالغدر والمكر والحيلة لهؤلاء القوم، وقالت فيهم:

«أتبكون ؟! فلا رَقَأت الدمعة، ولا قُطعت الرنّة، إنما مثلكم كمثل التي نَقَضَت غزلها من بعد قوة أنكاثًا... .»

إن ما كان أهل الكوفة يطلقون عليه حياة، لم تكن سوى قطعة سجاد حيكت بلحمة المكر وسدى الختل والغدر. وهنا تولى الشيطان زخرفة هذه الحياة العفنة، لكي يحطم المتبجحون البعيدون كل البعد عن المروة والشهامة، الجدران التي تحيط بهم، بحيث قالت فيهم السيدة زينب، عليها السلام:

«ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله فريتم وأي كريمة له أبرزتم وأي دم له سفكتم وأي حرمة له انتهكتم...».

إنهم لم يكونوا ليعرفوا أن ما تنعموا وآباؤهم به كان من شجرة محمّد(ص) وأبنائه الكرام.

وأجهش أهل الكوفة بالبكاء والنحيب، ومع كلام زينب، عليها السلام، وصل صوت الموت الدامي للحسين، عليه‌السلام إلى الكوفة.

فقد أتت، زينب، عليها السلام، بخطبتها، بأهل الكوفة إلى محكمة بوسعة مدينة، لتدينهم وتوعدهم بمحكمة أكبر، يكون الله تعالى قاضيها.

ولا يمكن التعويض عن الدم الذي يراق، لكن زينب، عليها السلام، تبحث عن حياة خاصة تقام أعمدتها على أساس هذه الدماء. ويفهم قادة جيش عبيد الله، بان الحرب الرئيسية قد بدأت للتو. وكانوا حتى تلك الفترة يظنون أنه مع قتل الحسين، عليه‌السلام، فان القضية ستنتهي، لكنهم وجدوا الآن بان دماء الحسين، عليه‌السلام، تغلي وتسير كالموج الهادر لتغرق كل أهل الختل والغدر والمكر.

لقد كان صوت زينب، عليها السلام، صوت دم الحسين، عليه‌السلام. وكان حسين آخر قد دخل الميدان، بجهوزية تامة وعتاد تام. الحسين الذي يظهر نفسه في جسم زينب، عليها السلام.

وكانت مجمل نهضة عاشوراء مقدمة لكي تتوجه زينب، عليها السلام، إلى الميدان لترسخ العهد والميثاق.

ويقوم جيش «الشام» بتوجيه القافلة المنهكة عبر الطرق غير السالكة، عسى أن يتيه صوت زينب، عليها السلام، في البرابري والصحاري وألا يصل إلى أسماع الناس، لكن زينب، عليها السلام، أغرقت بحماستها، بلاط عبيدالله ويزيد بالدماء التي سالت عن الإمام الحسين، عليه‌السلام، وكلامها البديع، بحيث لم تبق أي حجة للخصم.

وانتزعت زينب، عليها السلام، كل الوسائل والأدوات من العدو لكي تغلق كل طرق التحريف و التزوير وكان هذا كلامها الأخير الذي نزل على يزيد كالصاعقة:

«... فكِدْ كيدَك، واسْعَ سعيَك، وناصِبْ جهدك، فوَاللهِ لا تمحو ذِكْرَنا، ولا تُميت وحيَنا، ولا تُدرِكُ أمَدَنا، ولا تَرحضُ عنك عارها، وهل رأيُك إلاّ

فَنَد، وأيّامک إلاّ عَدَد، وجمعک إلاّ بَـدَد!!... فالحمـد لله الـذى خـتم لأوّلنـا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة... .»

ومـن هنـا يمكـن فهم، أنـه عنـدما بـدأ الامـام الحسين، عليهالسـلام، حركتـه باتجـاه «كربلاء» كانت زينب،عليها السلام، معه لتكون شاهدا على دمه وتكرم ببسـاله دمـه وتهـدم بكلامهـا وحضـورها، صـرح اليزيـديين المهتـز أصـلا، وتنتـزع مـنهم الراحـة والاستقرار.

لقد جـاءت لتضـفي المعنـى الحقيقـي علـى مجمـل الحيـاة ولكل وجـود الإنسـان فـي مشـهد الحيـاة، و لتحـرر الإنسـان مـن شـرك مكـر إبلـيس، لقـد جـاءت لتكـون مُفسـرة لمعنى الحياة.

من قمة عاشوراء إلى بحر الظهور

وعندما تنقضي أربعينية شهادة الحسين بن علي، عليهما السلام، وأبنائه وأصحابه الميامين، تنحسر حماسة العزاء الحسيني شيئا فشيئا، وتعاد البيارق والأعلام إلى المساجد والتكايا ومواكب العزاء، إلى أن يحين عام آخر ومحرم آخر، ينصب فيه شيعة آل محمّد(ص) خيم العزاء ويقيمون مجالس العزاء الحسيني ويضيئون شموع المآتم.

ففي عام ٦١ للهجرة، عندما كانت القافلة تعود من رحلة «الشام» الشاقة والمرهقة، هرعت إلى زيارة الشهداء في صحراء «نينوى» وصحراء «كربلاء» قبل أن تستقر في «المدينة». زيارة حضرة أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام، وأصحابه الأوفياء.

بعبارة أخرى، فقد عاد الباقون من موكب الحسين، عليه‌السلام، إلى كربلاء، لتتسم عاشوراء، ببهاء وجلال في يوم الزيارة والأربعين الحسيني، رغم أنف الأمويين الحاقدين.

ومع هذه الزيارة، تخرج عاشوراء من صحراء كربلاء، فيما كان الأعداء قد سخروا جل جهدهم للتغطية على النهضة وحصر العاشورائيين بصحراء كربلاء.

وكانوا يظنون أن بوسعهم وضع نهاية للنهضة من خلال قمع قافلة الإمام بمدد المكر والختل.

فمع الأربعين و «زيارة الأربعين»، خرجت الزيارة والنهضة من حدود الزمان والمكان المغلقين والمحدودين بعام ٦١ للهجرة وجرت في أرضية التاريخ كالنهر الهادر. لذلك، استخدمت في مطلع هذا البحث عنوان «من قمة عاشوراء إلى بحر الظهور» لتتبارد إلى الأذهان صورة عن نهر عاشوراء الجاري في أرضية التاريخ.

وإن كانت نهضة عاشوراء الحسين، عليه‌السلام، بقيت في كربلاء، لما كان تتاح لها إمكانية تجاوز حدود الزمان والمكان.

ويتبين مجرى النهضة وعاشوراء الحسين، عليه‌السلام، من الأربعين والزيارة، لكي يمر هذا النهر الهادر عبر الصدور الرحبة للناس، ويغطي جميع الساحات الثقافية والحضارية لسكان الأرض.

وبذلك تكون إمكانية التصرف قد انتزعت من جميع الذين كانوا يسعون لدفع موضوع النهضة وغايتها إلى بوتقة النسيان والقدم. لذلك وكما ورد في الكثير من الأدعية والزيارات الخاصة بابي عبدالله الحسين، عليه‌السلام، وأواخر «زيارة الأربعين»، فان واقعة عاشوراء الدامية، تواصلت وترابطت مع أهم موضوع في حياة الإنسان، أي «حكمة التاريخ» و «الخطة الإلهية العامة» لخلق العالم والإنسان.

ومع مراجعة الفهم العام والفطري للإنسان في كل الأزمنة من الماضي والحاضر والمستقبل، والأمكنة الممكنة، يمكن الوصول إلى أن الإتجاه والنزعة العامة والجماعية للإنسان، تذكر بالفصل الأخير للحضور على سطح الأرض وفي الوقت ذاته أكثر فصوله تكاملا ونورانية، ذلك الشئ الذي ورد في الأدب الديني وفي

جغرافيا تأسيس وتشكل الدولة الكريمة للإمام المبين، بعد السنوات العصيبة في آخر الزمان والوعد بتحققها.

إن الترابط النسبي (سلسلة الولاية والإمامة والوصاية) والسببي (نهضة الإمام الحسين الداعية للعدل) والثارات التي ينادي بها الإمام المهدي، عليه‌السلام، يعرض الترابط اللازم بين «نهضة عاشوراء» و «نهضة وقت الظهور» ويذكرّ الجميع به.

آية المودّة

لقد بين المفسرون الشيعة وأهل العامة أسباب نزول عديدة ل«آية المودة»:

«قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.»[1]

ويقول الإمام الصادق(ع) في هذا الخصوص ما مضمونه أنه عندما عاد رسول الله(ص) من حجة الوداع إلى المدينة، جاء إليه أهل المدينة وقالوا يا رسول الله أن هجرتك إلى المدينة تعد شرفا عظيما منه الله علينا... إنه لصعب علينا أن يأتي إليك أناس لحل مشاكلهم ولا تملك مالا تدفعه إليهم وقد يلومونك، إننا نود أن نمنحك ثلث مالنا حتى إن جاء أناس إلى المدينة، أن يكون لديك شئ من المال لتعطيهم إياه.

ولم يرد عليهم رسول الله(ص) وانتظر حتى صدر الأمر عن الله تعالى ونزلت هذه الآية الكريمة:

«قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.»

وقال الإمام الصادق في ختام الرواية إن المنافقين إنزعجوا مع سماع هذه الاية الكريمة وقالوا، إن الله لم ينزل هذه الاية الا أن يريد النبي فرض إبن عمه، علي، من أهل البيت علينا. لان النبي كان قد قال يوم امس:

---

١. سورة الشورى، الاية ٢٣.

«مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فعليّ مَولاه»؛ واليوم يقول **«لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.»**[١]

والأحاديث الشريفة في ذلك ملء الكتب، اذ روي عن ابن عباس قال: لمّا نزل قول الله تعالى:

«قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى.»

قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلّم):

«عَلىٌّ وفاطِمَةٌ والحَسَن والحُسَين.»[٢]

وقد استند علماء الشيعة إلى روايات أهل البيت، عليهم السلام، والمستخرجة من مصادر التفسير والحديث لأهل السنة، للإستدلال حول مصداق «آية المودة».

وسُئل الإمام السجاد، عليه‌السلام، حول هذه الآية، فقال:

هِيَ قِرابَتِنا أهلُ بَيْت محمّد؛[٣]

وقد بيّن المعصومون، عليهم السلام، هذا الموضوع بصراحة لكي لا تبقى أي شبهة لدى الناس. فقد جاء في «تفسير القمي» عن محمّدبن مسلم عن الإمام الصادق، عليه‌السلام قال حول هذه الاية: إن القصد من القربى هم أهل‌البيت.[٤]

وفي الأيام الأولى التي تلقت واقعة عاشوراء، لما جيء بعلي بن الحسين، عليهما السلام، أسيراً فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأستأصلكم!.

---

١. تفسير نورالثقلين، ج ٤، ص ٥٧٣.
٢. الدرّ المنثور، ج ٩، ص ٤٧؛ مسند أحمد، ج١، ص ١٩٩؛ تفسير الطبري، ج ٢٥، صص ١٤ و ١٥.
٣. الزمخشري، محمود، الكشاف.
٤. تفسير الميزان، العلامة طباطبائي، ج ١، ص ٥٣.

فقال له الامام علي بن الحسين: أقرأت القرآن؟.

قال: نعم.

قال: أقرأت الـ «حم»؟.

قال: نعم.

قال: أما قرأت: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى».

قال: فانكم لأنتم هم؟.

قال: نعم.[١]

وقد تكرر هذا المضمون والمحتوى من «آية المودة» وذكر مصاديق القربى، في الروايات، بحيث أن أيا من مذاهب أهل السنة والشيعة، لم ينكروا صحة الروايات والتطابق الحاسم للمصاديق.

حُب وبُغض آل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم

لقد كان موضوع حب وبغض آل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم والنتائج المترتبة عليه، قائما طوال سنوات وجود النبي الاكرم(ص) بين المسلمين وجرت نقاشات حوله.

إنهم كانوا يعلمون بان حُب أهل البيت، عليهم السلام، هي حُب الله، فقد ورد:

«وَمَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ»؛[٢]

وقد نقل الزمخشري وهو من مشاهير مفسري أهل العامة وصاحب تفسير «الكشاف» في تفسير آية **«قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ»**، الحديث التالي عن النبي الاكرم، صلى الله عليه وآله وسلم:

---

١. المصدر السابق.
٢. الزيارة الجامعة الكبيرة «مَنْ والاكُمْ فَقَدْ والَى اللهَ، وَمَنْ عاداكُمْ فَقَدْ عادَ اللهَ، وَ مَنْ اَحَبَّكُمْ فَقَدْ اَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ اَبْغَضَكُمْ فَقَدْ اَبْغَضَ اللهَ... .»

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ألا ومن مات على حُب آل محمّد، مات شهيداً, ألا ومن مات على حُب آل محمّد، مات مَغفورا له، ألا ومن مات على حُب آل محمّد، مات تائبا، ألا ومن مات على حُب آل محمّد، مات مؤمنا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حُب آل محمّد، بشره ملك الموت بالجنة،ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حُب آل محمّد، يُزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حُب آل محمّد، جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حُب آل محمّد، مات على السُنة والجماعة، ألا ومن مات على بُغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بُغض آل محمّد، مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد، لم يشم رائحة الجنة».[1]

ويُستشف من روايات كهذه بان حُب أهل البيت، عليهم السلام، يحظى في حد ذاته بقيمة واعتبار خارقين، بحيث جاء في بعض الروايات بأنه أفضل العبادات، بحيث نقل في رواية عن الإمام الصادق، عليه‌السلام:

«إنَّ فَوقَ كُلِ عِبادَة عِبادَةٌ وحُبُّنا أهْلَ البَيْتِ أفْضَلُ عِبادة.»[2]

ومن وصايا الرسول الأكرم صلى الله عليهم وآله وسلم:

يَا أَبَا ذَرٍّ :... واعْلَمْ: أَنَّ أَوَّلَ عِبَادَةِ اللَّهِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ، فَهُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَ الْفَرْدُ فَلَا ثَانِيَ لَهُ، وَ الْبَاقِي لَا إِلَى غَايَةٍ. فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ

---

١. الزمخشري، جارالله، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٣، ص ٤٦٧، كذلك، الرازي، فخرالدين محمّد، التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ١٦٦؛ المجلسي، محمّدباقر، بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ١١١، ح ٨٤.
٢. بحارالأنوار، ج ٢٧، ص ٩١، ح ٤٨.

وَالْأَرْضِ وَ مَا فِيهِمَا وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ اللَّهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ الْإِيمَانُ: بِي، وَالْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَنِي إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ، بَشِيراً وَ نَذِيراً، وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً.

ثُمَّ حُبُّ أَهْلِ بَيْتِيَ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَ طَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً»؛[١]

وفي رواية قال الإمام علي، عليه‌السلام:

«أحْسَنُ الحَسَناتِ حُبُّنا وأسْوَءُ السَّيئاتِ بُغْضُنا»؛[٢]

وقد وردت تعابير مختلفة حول أهمية ومكانة حجة أهل البيت، عليهم السلام، في كلام المعصومين، عليهم السلام لدرجة أنها اعتبرت أساس التدين وجوهر الإسلام والباقيات الصالحات وعلامة الإيمان، وفي المقابل، فان بُغضهم أعتبر بمنزلة الخروج عن الإيمان وعلامة النفاق.

عن أبي عبدالله، عليه‌السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الإسلام عُريان فلباسُه الحَياء، وزينَتُهُ الوفاء، ومُروءتُه العمل الصالح، وعِماده الوَرَع، ولكل شئ أساس وأساس الإسلام حُبنا أهل البيت.»[٣]

وكما أسلفنا فإن هذه العبارات والتوصيفات في الروايات والأحاديث قد وردت وثبتت في مصادر أهل العامة أيضا.

إن هذه المجموعة، تبيّن بان إبداء الحُب والمودة لآل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم، هو أساس التدين، وإن من زار كربلاء وغادرها إلى مدينته وديارة، كمن نشر

١. أهل البيت في القرآن والحديث، ج ٢.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق.

وبشر ب«العشق المقدس» تجاه أعز أسرة النبي الاكرم(ص) وكذلك نشر وبشر ب«الحقد المقدس» تجاه كل الذين يكنون البغضاء لهذه الأسرة أو أظهروها فعلا.

العشق المقدس، الحقد المقدس

إن كانت «الزيارة الجامعة» أشمل وأكثر خطاب الشيعة حكمة فيما يخص الساحة المقدسة للمعصومين، عليهم السلام، ومرجعا لا مثيل له لبلوغ الدرجات العليا لمعرفتهم، فان «زيارة عاشوراء» تشكل النظام الأساسي للإنسان الشيعي.

إن أدب الإنسان المسلم وسنة الإنسان الشيعي، قد تجسدا تماما في الجملات والعبارات الرفيعة لهذه الزيارة. بعبارة أخرى، فان سبب الإبتعاد عن الصراط المستقيم، يعود إلى التخلف عن قافلة أهل الحق والإنزلاق في بحر الشبهة والتردد، والنتيجة الحتمية، ستكون الإفراط والتفريط، التقاعس والتسرع في السير والسلوك غير الصائبين في ميدان التاريخ. إن السر الكامن وحقيقة العشق والحقد المقدس، هما كالجناحين الخافقين، ينقذان الإنسان من براثن الكبر والغرور ومستنقع التعاسة وآفات الهواجس والرذيلة، وينقلانه إلى أسمى وأرفع مراتب الطهر والنورانية، ويصقلانه ويضفيان عليه الصفاء والخلوص، لكي يشهد في جمع الصالحين والصديقين، أعلى مظاهر كمال الحق المتعال ويحظيان بأسمى درجات المعرفة والكمال.

آه، لأن قراصنة العقل والدين، أوقعوا أبناء آدم في شرك الغضب والشهوة والغرائز، بحيث أنهم لا يقدرون على تجربة مراتب العشق والحقد المقدس، بينما تحول كل الصاعدين من فرش الشيطان إلى عرش الرحمن، من أهل المعرفة، إلى موقع تجسد وظهر فيه هذا العشق والحقد، فيما أصبح المتقاعسون و المتخلفون، يغوصون أكثر فاكثر في مستنقع الشبهة والشهوة، وأصبحوا لانصيب لهم من هذا الطيران والصعود، وتحولوا إلى سند و داعم للخصم في الغلبة على مدينة الصداقة الآمنة.

إن زيارة عاشوراء، هي تجسيد لهذا العشق والحقد المقدس، في هيئة كلمات وعبارات، بحيث أن أنصار الحسين والسائرين على نهج كربلاء، يجسدون مجمل هذا العشق والحقد، لكي يُعرف بأن:

يجب السير كالرقصة تحت سيفه المغموم

ومن قتل في سبيله، فان عاقبته الحُسنى[1]

إن زيارة عاشوراء هي زيارة الحسين، عليه‌السلام، الذي ظهر في قيظ الظهر. زيارة عاشوراء هي النظام الأساسي للإنسان الشيعي، لكي تتحقق آية الظهور هذه على أرض الواقع:

«وَلاَ تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ».[2]

لكي يمر عبرها مذاك فصاعدا، كل من يشعر في قلبه بالحنين نحو التشيع ويهم لزيارة الحسين، عليه‌السلام، ويتنبه ويصبح حسينيا ويُحشر بين جموع الرجال ويبقى

---

١. ديوان غزليات حافظ.
٢. سورة آل‌عمران، الاية ١٦٩.

في قبيلة الإيمان، من أولئك الذين أحسوا بجوهر هذه الزيارة المقدسة في قيظ ظهر عاشوراء.

وبدأت عملية الإتسام بصفة عاشوراء، مع الإعلان الصادق عن العشق بالحسين، عليه‌السلام.

«السَّلامُ عَلَيکَ يا أبا عَبْد الله»؛

وقد امتزج العشق كله، بالدم:

«اَلسَّلامُ عَلَيْکَ يا ثارَ اللهِ وَابْنَ ثارِهِ»؛

وامتزج كل العشق والدم، بالحزن والهم والغم الخالد:

«يَا أَبَا عبدالله لَقَدْ عَظُمَتِ الرّزِيَّةُ»؛

وتحول كل العشق والدم والحزن إلى سهم مرميّ، إلى لعنة تنطلق من عمق الروح وتستقر في عمق صدر أبرز مصاديق الظلم:

«فَلَعَنَ اللّهُ أُمَّةً اَسَّسَتْ اَساسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ»؛

إذن اللعنة على من أزاحوا الحق المسلم به من موقعه الحق، وأسسوا أساس الظلم والجور.

ومن هنا، يخرج من قوس العشق والدم والحزن، سهم التبرّي لكي يكون فارقا بين الظالم والمظلوم، الحق والباطل، فسطاط العاشورائيين واليزيديين.

«بَرِئْتُ إلى اللهِ وَإلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أشْياعِهِمْ وَأتْباعِهِمْ وَأوْلِيائِهِمْ»؛

التبرؤ من جميع من تابعوا وشايعوا وناصروا الظلم والجور على الحسين، عليه‌السلام، وأسرته. أتبرأ من اليوم إلى الغد وإلى أبد الآباد وأسخر كل وجودي في سبيل حماية وإرواء شتلة التبرؤ واعلنها باعلى صرخة لم تطق أي أذن سماعها لحد

الان، لكي يسمع الجميع هذا التبرّي، وليعلموا بأني رفعت صوتي وصرخت ليس في الخفاء والهمس، بل باعلى نبرة ضد أبرز مصاديق الظلم لكي تبقى سنة الإنسان المسلم.

«وَلَعَنَ اللهُ آلَ زِياد وَآلَ مَرْوانَ، وَلَعَنَ اللهُ بَنى اُمَيَّةَ قاطِبَةً...»؛

إن إتساع نطاق وعمق تبري العاشورائيين، ليس كادعاء المتقاعسين والمتبجحين الفاقدين للشهامة والرجولة.

إنهم (العاشورائيون)، يخاطبون عامة الخلق والناس إنطلاقا من ذروة المعرفة والوعي ومن قمة القوة والصمود لكي لا يبقى أي مجال للترديد والشك وارتعاش اليد للتسامح والتساهل. ومن بعد هذا التبري، ينبري التمني المقدس.

التمني المقدس، ينبثق من بين العشق المقدس والحقد المقدس حتى نعرف:

إن من يسلك طريق العاشورائيين بلا عشق وحقد، لا مجال له للتمني.

حتى نعرف ان التمني المقدس، هو للمحرمين والمستأنسين المرابطين تحت خيمة الحسين، عليه‌السلام، فحسب.

«فَأَسْئالُ اللهَ الّذِى أَكْرَمَ مَقامَکَ، وَأَكْرَمَنِى بِکَ، أَنْ يَرْزُقَنى طَلَبَ ثارِکَ مَعَ إمام مَنْصُور مِنْ أَهْلِ بَيْتِ محمّد صَلّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ».

إن هذا العشق والحقد المقدس، يجيزان ويسمحان لنا، أن نناشد الذي كرم الحسين، عليهم السلام، بأجل صورة ونطالب من أعماق الروح أن يجعل من نصيبنا، الحضور بين طلاب ثار الحسين، عليه‌السلام، ومع إمام منصور من أهل بيت محمّد وعلي وفاطمة والحسين والحسين.

و هذا الطلب، يصبح حصارا لكي يتقرب إليه محرم هذا الحرم في أمن تام، ويبقى قويا وصلبا ويُصبح في مقام محمود مقبولا لدى ساحة رجل جسد كلية العشق وكلية التبري، في ظهر حار. إني أعتبر هذا العشق، مقدسا لأنه يفضي إلى أعلى مراتب الحب وأسمى درجات الكمال في ساحة الوجود. وأعتبر هذا الحقد، مقدسا لأنه يحول كل الإعتبار والملك والروح والمال إلى سهم، ينطلق من قوس الروح باتجاه أبرز مصاديق الظلم.

ومن دون هذا التولي الجلي، وهذا التبري الواضح والجاهز، لن يتحقق أي تمنّ، ولن تحصل أي محرمية. لأن الصراط المستقيم الذي هو عين الفلاح والسعادة، يمر عبر هذا العشق والحقد، فحسب. وكم هو جميل الكلام الذي قاله الحسين، عليه‌السلام، في خطبة ألقاها في «منى»:

«... إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعاء إلى الإسلام، مع رد المظالم ومخالفة الظالم... فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذى خلقها، ولا عشيرة عاديتموها فى ذات الله، وأنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه».[1]

١. القاموس الشامل لكلام الإمام الحسين، عليه‌السلام، ترجمة علي مؤيدي، ص ٣٠٨.

مقام الزيارة

وهنا لا بد من التساؤل:

إن كانت عاشوراء وتضحيات الحسين، عليه‌السلام، وأصحابه في صحراء «كربلاء»، تفسر معنى الموت والغاية من الوجود، وإن الزيارة تفسر معنى الحياة و تواصلها بأسمى معاني الحكمة الإلهية وتمثل الخارطة العامة للخليقة، فلِمَ كل هذا الضياع والإرتباك والفوضى التي يواجهها المسلمون في حياتهم، وكأنهم معلقون بين الأرض والسماء؟

إن الإنفعال والتغافل المتلازم مع الفساد المستشري في العلاقات والمناسبات الفردية والجماعية، والذي يطال الشرق الإسلامي، ليس حصيلة هيمنة المستعمرين على هذا الرقعة من الأرض والبلاد فقط، بل إن وجها من هذا الضياع، يعود إلى أداء وتصرفات الشموليين المتغطرسين، والوجه الآخر منه يتصل باداء المسلمين أنفسهم.

ودور سائر الشعوب والأمم الملحدة والمشركة واليهود والنصارى، جلي، وكل ما يفعلونه يرتد عليهم. إن كلامنا موجه إلى العالم الإسلامي بصفة عامة وإلى عالم التشيع بصفة خاصة.

فان فسر جوهر التشيع بالمودة لأهل البيت، عليهم السلام، وتجلى وازدهر بابداء المودة والعشق للحسين، عليه‌السلام، فان الزائر سيتسخرج معنى الحياة من الزيارة. الشئ الذي تبنته زينب الكبرى، عليها السلام.

لقد ركز أعداء أهل البيت، عليهم السلام، جهدهم لكي تبقى واقعة عاشوراء حبيسة الجغرافيا الزمانية المتمثلة بعام ٦١ للهجرة والجغرافيا المكانية المتمثلة بصحراء نينوى، في حين أن سفير الحسين، كان منذ الأيام الأولى ومن أول زيارة للحسين، عليه‌السلام، في يوم الأربعين، بصدد كسر الحصار الزماني والمكاني الذي كان يطوق انتفاضة الحسين، عليه‌السلام، وأن يحرك إنتفاضة وأداء أهل بيت رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، في مسار التاريخ، ولذلك يمكن القول:

إن الزائر الذي يغادر كربلاء من دون اكتساب فائدة تذكر، ولا تؤثر إنتفاضة أهل بيت النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم على سلوكه وأسلوبه وأدبه وفكره، يكون وكأنه قد تخلى عن الحسين، عليه‌السلام في كربلاء وعاد إلى دياره.

ويكون بذلك قد تناغم وساير أعداء أهل البيت، عليهم السلام، في معرفة وتعريف واقعة عاشوراء المروعة، في تلك الجغرافيا الزمانية والمكانية لعام ٦١ للهجرة، بينما لم يكن مقررا أن تبقى هذه الانتفاضة في ظرفها الزماني والمكاني الخاصين.

إن من لم ينسلخ عن ذاته بعد زيارة كربلاء وقراءة زيارة أبى عبدالله الحسين، عليه‌السلام، ويعود إلى بيته وديار من دون الحسين، عليه‌السلام، يشبه انتهاء موسم الحج فى ذى الحجة وعودة مئات الألوف من حجاج بيت الله الحرام، دون أن نشهد تطورا خاصا يطرأ فى مدن وديار المسلمين والمؤمنين!

إن مقام ومكانة «الزيارة» أسمى وأجلّ من الكثير من المناسبات والصفقات التي نعكف على إنجازها منذ بداية العام وحتى نهايته ونولى أهمية لها وننفق من أجلها.

ورغم أن الجميع، يشكرون الله ويحمدونه على نعمة نالوها وزوال نقمة عنهم، لكن الشكر الخاص لله، يجب مشاهدته في نيل التوفيق في قرائة زيارة من الزيارات الخاصة بالامام الحسين، عليه‌السلام.

ونقرأ في زيارة هذا الإمام الشهيد في «عيد الفطر» و«عيد الأضحى»:

«وَالْحَمْدُ لله الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْماجِدِ الاَحَدِ... الَّذى مِنْ تَطَوُّلِهِ سَهَّلَ لى زِيارَةَ مَوْلاىَ بِاِحْسانِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْنى عَنْ زِيارَتِهِ مَمْنُوعاً وَلا عَنْ ذِمَّتِهِ مَدْفُوعاً، بَلْ تَطَوَّلَ وَمَنَحَ»؛[1]

إن طلب شرف الزيارة، هو الطلب لنيل الحقيقة في الأرض، بينما يتجشم الزوار، عموما عناء سفر الزيارة، من أجل الأجر الأخروي ورفع حوائج الدنيا.

ولم يمض الحسين، عليه‌السلام، على طريق الشهادة ويدخل ساحة الجهاد والنهضة، من أجل أن يستغفر الناس بعد شهادته من ذنوبهم وآثامهم وأن ينالوا الثواب الأخروي ويحصلوا على نصيب لهم في الجنة والحور العين والقصور!

وكيف لنا أن ننسى هدفه وغايته وكل ما قدمه سبط رسول الله(ص) باخلاص، حتى نريد ان نجعل زيارته محدودة على رفع حوائج الدنيا وكسب ثواب الآخرة؟

إن المسيحيين هم الذين يعتبرون قضية صلب السيد المسيح، عليه‌السلام، بانه كانت فداء ويقولون أن المسيح، ابن الرب قد صُلِب وافتدى ذنوب من في الأرض بحياته عندما صُلب!

---

١. مفاتيح الجنان، زيارة الإمام الحسين،عليه‌السلام، في عيدي الفطر والأضحى.

إن الفداء يعتبر من أهم معتقدات المسيحيين، أي إنقاذ البشرية بواسطة موت عيسى، عليه‌السلام. إنهم يؤمنون بان الفطرة الإنسانية قد خُلقت سليمة وطاهرة منذ البداية لكن وبسبب ذنب آدم وحواء (أكل الفاكهة الممنوعة)، فان هذا الذنب انتقل بين أبناء البشرية من جيل إلى جيل. وبما أنهم يؤمنون أنه يجب تقديم فداء لكل ذنب لكي يُغفر عنهم، وبما أنه لم تكن هناك فدية ترتقي إلى الصفح عن الذنب الكبير لادم وحواء، فان هذا الذنب بقي هكذا لدى الانسان.

وفي منظور أتباع السيد المسيح، عليه‌السلام، بما أن الذنب الأولي قد انتقل بالوراثة، وبالتالي فان كل البشرية مذنبة وآثمة، فان الله خطط ليُخرج إبنه على هيئة إنسان من رحم مريم المقدسة، ليعيش مثل الإنسان ومن ثم يُصلب حتى يُصفح ويُغفر عن ذنوب كل من يؤمن به.

ومن وجهة نظر المسيحيين، فان المسيح، هو أطهر الأفراد وأكثرهم براءة والقادر على أن يفدي ويضحي بنفسه لكي يُصفح بذلك عن مجمل ذنوب أتباعه، وبالتأكيد فان هذا التعبير والتفسير، صبياني بامتياز.

وكأن المسلمون، من حيث يدرون أم لا يدرون، قد ابتلوا بهذه الشبهة (الفداء)، وأصبحوا على غرار المسيحيين، يظنون بان الحسين، عليه‌السلام، قد خُلق للصفح عن ذنوبهم ونيل حوائجهم الكبيرة والصغيرة.

لكن الحسين، عليه‌السلام، أماط اللثام في كل موقع من مواقع حركته، منذ خروجه من المدينة وحتى وصوله الى صحراء كربلاء، عن حكمة رحلته وقال في موقع:

«إن كانَ دينُ محمّد لَم يَستقِم إلا بِقتلى فَياسيوفَ خُذيني»؛

إن عظمة نهضة الحسين، عليه‌السلام، هي خارج نطاق دركنا وتصورنا، لذلك فان لم تمنحنا الزيارة إمكانية الخروج من النطاق الجغرافي الترابي المحدود وجغرافيا الزمان المحدودة، ولا تسهم في بناء الصلة والنسبة بيننا وبين أرفع طرح إلهي كليّ، فان الزيارة لم تتم.

إن الزيارة، هي أجمل مجاز لإظهار الولاء والمعرفة وأجلى مسار لإظهار قبول ولاية الإمام المعصوم، عليه‌السلام.

إن القبول برعاية وإمارة وخلافة النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، رهن باعلان الولاء والمحبة له ولأهل بيته، وقبول ولايتهم. فالولاية، رهن بالولاء. إن النبي الاكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، يعرف جيدا، انه إن أبديت المحبة والعشق لهذه الذرية المكرمة، فان الناس، سيكونون مهيئين لقبول ولايتهم وإمامتهم التامة.

إن مقام ومكانة زيارة أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام، لدى الله تعالى وأهل البيت والشيعة، تعود إلى رفعة ومقام ومنزلة الإمام الحسين، عليه‌السلام، من جهة، وإلى تضحياته وإيثاره الفذ في سبيل الله، من جهة أخرى، الشئ الذي لم يكن له مصداق ومثال ولن يكون، منذ خلقة آدم، عليه‌السلام، وحتى عصر «عاشوراء» وبعده حتى واقعة «الظهور» الكريمة.

إن قيمة ومكانة هذه النهضة في كربلاء ترقى إلى درجة أنه روي عن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام قال:

«أن أرض الكعبة قالت: من مثلى وقد بُنىَ بيت الله على ظهرى، يأتينى الناس من كل فج عميق؟ وجعلت حرم الله وأمنه؟ فأوحى الله إليها كفى

وقرى، ما فَضْلُ ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الابرة غمست فى البحر».[١]

ولم يحظ أي مكان وزمان، بهكذا شرافة منذ بدء الخليقة وإلى الان.

وورد في الكثير من الروايات عن تفضيل أرض كربلاء على أرض مكة.

الزيارة، تمهيد للتواصل

إن زيارة الحسين، هي التواصل المستديم مع الحسين، عليه‌السلام، والإعلان عن الوقوف في صف الحسين، عليه‌السلام، وديمومة الحضور في قافلة الحسين، عليه‌السلام؛ والا فان من ينفصل وينعزل عن الحسين، عليه‌السلام، يكون قد انفصل عن القافلة وسيقع عاجلا أم آجلا في شرك «الشام» الأسود.

وألم يقرأ المؤمنون بعد «عاشوراء» في زيارة «وارث» وهم يتوجهون إلى الإمام:

«فَيا لَيْتَنى كُنْتُ مَعكُم فَافوزَ مَعكُم»؛

إن زيارة أبوعبدالله، عليه‌السلام، هي مسار توصل الزائر بذلك اليوم و تلك الفرصة المهدورة، اليوم الذي يتمنى الجميع لو كانوا حاضرين فيه ويستشهدون بين يدي الحسين، عليه‌السلام، في كربلاء.

وإن كان الإنسان الشيعي، زائرا للإمام في كربلاء حقا، لن يبتلى في مختلف الميادين العقائدية والثقافية وفي التعاملات، بالبلاء الذي أبتلي به جيش الشام (الظالمون في كل عصر و زمان).

---

١. وسائل الشيعة، باب استحباب التبرك بكربلاء، ج ١٠، ص ٤٠٣.

ومن لا يصبح زائرا، فانه سيقع في براثن جيش الشام عاجلا أم آجلا. وهذا الإبتلاء هو بمعنى الإبتلاء في الميادين الثقافية والحضارية المشركة لأهل الغدر والختل في كل عصر ودورة.

وأبان بن تغلب هو من كبار مشايخ الشيعة وصحابي الإمام جعفر الصادق(ع). يقول له الإمام(ع) يوما: يا أبان متى ذهبت لزيارة قبر الحسين، عليه‌السلام؟ فيقول أبان: لم أذهب للزيارة لفترة طويلة، فيقول الإمام: أنت من أكابر مشايخ الشيعة، وقد تركت الحسين، عليه‌السلام، ولا تذهب لزيارته.[1]

وهنا لا يقول الامام الصادق(ع)، إنك لم تزر الحسين بل يقول: يجب عليك بوصفك أحد أكابر الشيعة ألا تتخلى عن الحسين، عليه‌السلام.

إن ترك الزيارة، هو بمثابة التخلي عن الحسين، عليه‌السلام، وأهمية هذا الأمر تتضاعف بالنسبة لأكابر القوم ومشايخهم.

عن مُعاوية بن وَهْب، عن الإمام الصادق عليه‌السلام

«قال: قال لى: يا معاويةُ لا تَدَعَ زيارةَ قبر الحسين عليه السلام لخوف، فإنَّ مَن ترک زيارَته رأى من الحَسْرَة ما يتمنّى أنَّ قبره كان عِنده».[2]

وإن كان هناك خوف أو حادثة أو حاكم ظالم، يحول دون زيارة «بيت الله الحرام»، فلن يبقى تكليف على المسلمين، وبوسعهم الامتناع عن السفر للزيارة، لكن هذا الأمر يجد وجها آخر فيما يخص زيارة الحسين، عليه‌السلام.

ففي تقليد الإنسان الشيعي، ليس ثمة دليل أو مسوغ، لتعطيل ذلك. وأي خوف لا يجب أن يحول دون ارتباط الشيعة بأبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام.

---

١. كامل الزيارات، ص ٣٣١.
٢. المصدر السابق، ص ١١٧.

إن قطع الإرتباط بأبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام، وانتفاضته، هو بمثابة قطع الشيعة ارتباطهم بأكبر واقعة، من المقرر أن تقع في آخر الزمان مع ظهور إمام العصر والزمان(عج).

إن قطع هذا الإرتباط والتواصل، يعني وقوع شيعة الحسين، عليه‌السلام، في قبضة جيش «الشام».

وقد أشارت المصادر إلى الكثير من القضايا والمسائل التي تستحق الدراسة، حول الصعوبات والأثمان التي دفعها شيعة أهل الولاية في سبيل الزيارة.

وأثناء الزيارة، نقول آخر الكلام، إقتباسا من «زيارة الأربعين» متوجهين إلى الإمام الحسين، عليه‌السلام:

«وَقَلْبی لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَأَمْری لأَمْرِكُمْ مُتّبِعٌ وَنُصْرَتی لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّی يَأذَنَ اللهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ...»؛

فالزائر يعلن هذه العبارة مخاطبا إمامه، وقد انتهت واقعة كربلاء و ووري الشهداء، الثرى. إذن أين تبرز معنى «وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ"؟

أيها الحسين، إن قوتي معدة لنصرتكم، ونصرتي معدة لكم، حتى يأذن الله لكم بالعودة. وهذه الميزات الثلاث تتأتى من الأربعين وزيارة الأربعين، ويقول الإمام الصادق، عليه‌السلام: كل من تمتع بهذه الميزات الثلاث، فانه من شيعة الإمام الحسين، عليه‌السلام».

وهل نظرتم إلى الراية الحمراء، التي ترفرف على قبة ضريح أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام؟ فمنذ الأيام الغابرة وقبل بعثة النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، كانت العرب تتخلى عن الحرب في الأشهر الحرم، وكانت تبقي على

جهوزيتها حتى نهاية الشهر. وكانوا ينصبون على أعلى الخيمة، راية حمراء، ليعلنوا: بان توقف الحرب، لا يعني انتهاء القتال. لأننا سنخرج السيوف من أغمادها مرة أخرى.

إن الراية الحمراء الخفاقة فوق ضريح الإمام الحسين، عليه‌السلام، هي بهذا المعنى أيضا. وكأنه يتم الإعلان:

إن الحرب والجهاد وعاشوراء لم تنته، ورغم أن القتال قد توقف فى الظاهر مع سقوط الشهداء على ثرى كربلاء، لكن الثارات والقتال مع أهل الغدر والختل، لم ينته بعد.

ومنذ أول زيارة أربعين في عام ٦١ للهجرة، فان زائر الأمام الحسين، عليه‌السلام، وشيعته يعلنون: **وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ**، حتى تحين تلك الساعة التي تُذلل فيه العقبات ويُجهز الجيش مرة أخرى لمواصلة القتال.

إن نهاية النهضة، ليست سوى إزالة جميع علائم الظلم والإضطهاد والفساد من على الأرض وتأسيس الدولة الكريمة لحضرة الحق، على يد الثائر لدم الحسين، عليه‌السلام.

وإن كان الحسين، عليه‌السلام، قد أعلن:

«إن كانَ دينُ محمّد لَم يَستقِم إلا بِقتلى فَياسيوفَ خُذينى»؛

فان الزائر يعلن الشئ ذاته.

ومن لا تكون زيارته حمراء، فليس زائرا. لأنه في كربلاء، يزور شهيدا ترفرف راية حمراء خفاقة على قبة ضريحة، فكيف لاتكون زيارته حمراء؟ ومن لم يؤد

هكذا زيارة، يكون في الحقيقة قد زار نفسه وطلب رفع حوائجه لا أن يكون في طلب الحسين، عليه‌السلام! وكان عليه أن يقرأ من صميم قلبه: **«وقلبي لقلبكم سلم».**

إن إبداء المودة والمحبة، يجب أن يمران من القلب. فالقلب وحده يكفل دوام المحبة الصادقة وبقائها.

«وأمرِى لأمرِكُم مُتَّبِع!»؛

ويربط الزائر في وقت الزيارة، شؤونه الدنيوية والأخروية والفردية والجماعية والعلنية والخفية، في جميع الساحات والميادين، بمطلب الإمام الحسين، عليه‌السلام. لذلك يمكن التساؤل:

كيف يمكن لجميع المناسبات والتعاملات والعلاقات الإقتصادية والثقافية و السياسية للمسلمين، أن تكون مضطربة ومشوهة وفاسدة الى هذا الحد؟

وعندما لا يُستخدم القلب ولا تتصل الأمور بالحسين وأبناء الحسين، عليه‌السلام، فان الزيارة وقراءة الزيارة ستكون بلا جدوى، وبالتالي فان العدو لا يرهبه هذا النوع من الزيارة.

ويجب التساؤل: أيها الزائر، نصرتك معدة لمن ؟

فإن كانت معدة للحسين، عليه‌السلام، وتنتظر لتذهب معه إلى الميدان في الزمن الجديد، فطوبا لك، وإلا فانك ستشهد الكبير من الخسران، لأنك تكون حينها قد تورطت من علم أو دون علم بالغدر والختل، لماذا؟

فعندما يعلن أحدهم على لسانه أيها الحسين أن **«قَلبي لقلبكم سِلم وأمرِي لأمرِكُم مُتَّبِع»** لكنه يربط قلبه بمجال آخر عمليا ويمتثل لأمر آخر، فانه يكون قد أصيب

بالختل والغدر. وهذا الشئ لا يقل عن فعل أهل الكوفة! الذين أرسلوا دعوة إلى الإمام الحسين، عليه‌السلام، لكنهم قدموا نصرتهم ل «جيش الشام».

فالنهضة تجد معناها ومغزاها في قول أن « قَلبي لقلبكم سِلم» و «وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ» وإن الزائر ينتبه مع إقامة الزيارة إلى أن:

إن الحياة تتجلى معانيها في جغرافيا المناداة بالحق والجهاد العادل، وهذا هو سر تحرر أي إنسان من الذل والهوان.

إن الزيارة هي بمثابة رفع راية النهضة والجهاد عالية خفاقة إلى أن يحين فصل الإذن بنهضة الثأر لدم الحسين،عليه‌السلام، وظهور الإمام المهدي المنتظر،عليه‌السلام.

ويقول الإمام الرضا،عليه‌السلام، بشأن من يمارس الخداع والغدر مع الإمام المبين: إن من يغدر بالإمام، فانه يُحشر يوم القيامة وفمه أعوج.

الزيارة، الخطوة الأولى لتحقق الخريطة الإلهية العامة

إن تحقق الدولة الكريمة للإمام المبين، يشكل سر ارسال الأنبياء العظام الإلهيين وإنزال الكتب السماوية؛ وسر الخلقة والحكمة الخافية في تقلبات وتطورات الأمم السالفة، وهي المقصود والوجهة التي أراد الله لها أن تتحقق في خاتمة الرحلة في الأرض ووعد بها.

وعندما يعلن الزائر من صميم قلبه:

أيها الحسين! إن نصرتى لكم معدة، حتى يأذن الله لكم. فانى أوصل نفسى باكبر مشروع، جاء دين النبى من أجل تحقيقه، وأن خاتم الأوصياء، الإمام المهدى، عليه‌السلام، سينتفض من أجله عند الثأر لدم الحسين، عليه‌السلام.

عن أبي جعفر، عليه‌السلام، قال:

قال رسول الله، صلى الله عليه وآله، يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني! لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتت عليه أمره، ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها، ولم أوته منها إلا ما قدرت له، وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني! لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة.[١]

إن شأن وقدر الإنسان، هما بقدر ريادته في تحقيق إرادة الله وتفضيلها على إرادته.

وهذا يعني ظهور درجة العبودية لدى عبدالله وتقربه إليه سبحانه وتعالى.

ومن غاية لطف الله تعالى ورحمته أنه بيّن طريق الوصول إلى مدارج التقرب إليه وكرمه ومنه بازاء مجاهدة العبد لإقامة إرادة الله وتفضيلها على مطلبه وإرادته.

وهذه سنه الكون التي لا تتغير من أن الذي يتبع الأنانية تجاه الله المتعال، يُشتت أمره وتضطرب عليه دنياه، وينشغل بها قلبه، ويضيق رزقه، وعلى العكس فان الرائد في العبودية، يتحرر من الهم والغم، وتستحفظه الملائكة وتُفتح بوجهه أبواب الرزق وتُقبل عليه الدنيا من حيث لا يحتسب.

وإن كان تحقق الدولة الكريمة للإمام المبين وتطهير ربوع الأرض من الظلم والجور، هو بمثابة الخريطة الإلهية العامة (وقصد الباري عز وجل من خلق السماء

١. الطبرسي، علي‌بن حسن، مشكاة الأنوار، ترجمة هوشمند ومحمّدي.

والأرض) وإرسال الأنبياء وإنزال الكتب السماوية، فان تفضيل المجاهدة والسير على طريق الإرادة الإلهية، يزيل كل ضائقة وعقبة ويفك جميع القيود والحواجز ويزيل كل الهموم والأحزان.

وربما لهذا السبب جاء في الحديث الشريف:

«وأكثِروا الدُعاء بتَعجيل الفَرَج فإنّ ذلک فرجُكُم»؛[١]

إن من يرفع يديه بالدعاء بتعجيل الفرج، يسير على طريق إرادة الله ويجعل نفسه مسايرا لإرادة الله. وهذا الشئ ووفقا لسنة الله، يفضي إلى الفرج والإنفراج. ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»؛[٢]

وهذه الآية الكريمة، تكشف عن الخريطة الإلهية العامة حول مجئ ورحيل الكائنات في الأرض وخلق الإنسان وإرسال الأنبياء الإلهيين العظام.

وهذه الآية نزلت عندما كان المسلمون محاصرين في مكة، ويعانون من الضائقة التي فرضتها قريش عليهم. لقد كان رحيل أبي طالب، عليه‌السلام، وخديجة الكبرى، عليها السلام، وفشل الرحلات التبليغية للرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي التدهور الأمني الشامل، يكفي ليصاب المسلمون من جراء اليأس والإحباط، بالأنفعال، والعودة من منتصف طريق التدين. وفي هذا الوقت بالضبط، كشف الله تعالى من خلال هذه الآية، آفاق الرؤية للمستضعفين وأظهر «الخريطة العامة» وإرادته.

---

١. كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٥.
٢. سورة القصص، الآية ٥.

وفي آيات عديدة، يبيّن الله، أنه يُتم ويُظهر نوره من خلال تحقق هذه الإرادة أي أن يجعل المستضعفين، أئمة وإن كره الكفار والمنافقون.

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَنْ يُتِمّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»؛[١]

ويقول الله تعالى في آية أخرى بصراحة وقوة:

«وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»؛[٢]

ويربط الله تعالى في آيات أخرى، موضوع إرسال الأنبياء بهذه «الخريطة و التقدير العامين» ويقول:

«هُوَ الّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِين الْحَقّ لِيُظْهِرهُ عَلَى الدّين كُلّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»؛[٣]

و يقول الإمام الباقر، عليه‌السلام، في تفسير هذه الآية:

«إنَّ ذلِکَ يَکونُ عِندَ خُروجُ المَهدیُّ مِن آلِ محمّد، فَلا يَبْقی أحَدٌ إلاّ أقَرَّ بمحمّد، صلّی الله عليه وآله وسلم»؛

فزائر أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام، ومن خلال انضمامه إلى المطالبين بثارات الحسين، عليه‌السلام، وإبداء الجهوزية لتقديم كل عُدته وعِدته لنصرته، يصبح سائرا على الطريق الذي يفضي حسب التقدير والخريطة الإلهية العامة، إلى إتمام نور الله وتحقق الإرادة الإلهية في إمامة المستضعفين على الأرض، ومن هنا يتمتع بجميع النعم والمواهب، التي كفلها الله تعالى بعزته وجلاله.

---

١. سورة التوبة، الآية ٣٢.
٢. سورة الصف، الآية ٨.
٣. سورة التوبة، الآية ٣٣.

إن نهضة الحسين، عليه‌السلام، والزيارات المأثورة في هذا الخصوص، مع التذكير بموضوع «يا لثارات الحسين» والنهضة العالمية للإمام المهدي، عليه‌السلام، من أبناء وذرية أبي عبد الله، عليه‌السلام، تظهر خاتمة رحلة الإنسان في الأرض ونتيجة السير الإكمالي لإرسال الأنبياء والوجهة والنهاية المرجوة للمؤمنين.

ومنذ عصر عاشوراء فصاعدا ويوم الأربعين، يظهر وادٍ سحيق، أمام الإنسان المؤمن. وكأنه تحدث «قمة عاشوراء» من ناحية و «قمة الظهور» من ناحية أخرى. ومن ينوي تجاوز هذا الوادي والوصول إلى حصن الظهور الآمن، فلا بد له من سلوك الطريق وبناء الأعمدة وجسر العبور ليصل إلى مبتغاه.

إن «الزيارة الحمراء»، تُقدم إلى الأجيال جيلا بعد جيل، من المؤمنين بآل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم، بوصفهم معماري ومشيدي هذا الجسر والأعمدة، هؤلاء الذين يسيرون بحيميمة على طريق الأنبياء والأوصياء الإلهيين المتكامل، نحو آخر منزل مقبول ومطروح في الخريطة الإلهية العامة.

إن طريقة الأداء والسير والسفر الصادق والحميمي هذا، هو الذي يحدد ويرسم مجمل التوجهات والإستراتيجيات والتكتيكات الفردية والإجتماعية للمؤمنين في عصر الغيبة الكبرى للإمام المعصوم، عليه‌السلام.

وهل فكرتم يوما، بكل هذا الروتين اليومي والتراكض على مدار الساعة، ومردوده الضئيل؟ و كأن رزقنا ولقمة عيشنا وضعت على ظهر غزال، وأطلقوه يجري في الصحاري والبراري. فالغزال يركض ونركض نحن خلفه. لا نخرج من قيد الروتين اليومي، وعلاقاتنا الإجتماعية أصبحت كذلك، لا نجد خلاصا وراحة بال ولو لدقيقة واحدة.

لنتذكر مرة أخرى الكلام الرفيع للباري تعالى ونلقي نظرة على قسمه... اليمين الذي لا يوجد أكبر منه.

ووااسفاه، لقد تمايلنا عن «الخريطة الإلهية العامة» وأكبر ارادة لله، في حين أن إرادته تقوم على «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ».

إنه جل وعلا، يريد أن تتحقق الدولة الكريمة للإمام الحق، وسيحققها وإن كره كل المشركين والكافرين.

◆الفصل الثاني

- **المنظومة الفكرية والعقائدية للإنسان الشيعي**

«ومن آثر هواه على هوى الله،تشتت عليه أمره،

و لبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها، ولم يؤت منها إلا ما قدر له»

يا أباعبدالله الحسين، عليه‌السلام!

وَأَمْرِی لأَمْرِكُمْ مُتّبِعٌ وَنُصْرَتِی لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّی يَأْذَنَ اللهُ لَكُمْ

زيارة عاشوراء، المنظومة الفكرية و العقائدية للإنسان الشيعي

إن التعريف الذي يُطرح عن المنظومة الفكرية والعقائدية يدور عادة حول فلسفة قيام الأحزاب والفصائل السياسية والإجتماعية وأغراضها وأهدافها والغاية من تأسيسها. كما أن الإنضمام إلى أي جمعية في مجال المناسبات والعلاقات السياسية و الإجتماعية، في أي عصر، يتطلب وضع وصياغة منظومة فكرية وعقائدية تتلاءم مع النظرة العامة لهذه الجمعية إلى العالم والإنسان ومبادئها النظرية والفكرية، و فيما عدا ذلك فان تلك المناسبات والعلاقات ستتجه نحو الإنتقائية والإختلاط وبالتالي الإنحراف عن المبادئ والأسس.

إن دراسة التوجه العام للإسلام وشريعة آل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم، حول الوجود والحياة في الكون ودراسة سيرة وسنة المعصومين، عليهم السلام، تظهر بان المساهمة في المناسبات والعلاقات السياسية والإجتماعية، أمر ضروري ولابد منه. وبل ضروري للمساهمة في الميدان الثقافي والحضاري وتطبيق الحدود الإلهية بين الناس. لذلك، فان هذه المساهمة تُبرز تلقائيا ضرورة صياغة ووضع منظومة خاصة. وهذه المنظومة قد تجسدت في أقوال وأفعال المعصومين، عليهم

السلام، بصفة عامة، وفي «زيارة عاشوراء» بوصفها المنظومة الفكرية العقائدية الإجمالية، للإنسان الشيعي، بصفة خاصة.

إن زيارة أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام، وبصورة خاصة، «زيارة عاشوراء» تحوي وتحمل في طياتها «منظومة فكرية وعقائدية» خاصة للشيعة، وللإنسان الشيعي ولبقائه شيعيا، تلك المنظومة التي تبلور صيرورته وحياته وتعاملاته في إطار المناسبات والعلاقات السياسية والإجتماعية حتى عصر ظهور الإمام المنتظر، عليه‌السلام.

وإن وصفت في القسم السابق، خطوة زينب الكبرى، عليها السلام، بعد عصر عاشوراء الحسين، تحت عنوان مفسرة معنى الحياة، فان هذا كان نابعا من أن السيدة زينب، عليها السلام، تقدم تعريفا عن الحياة والوجود على الأرض تأسيسا على هذه المنظومة (المدرجة في زيارة عاشوراء).

إن زينب الكبرى، عليها السلام، بعد الأربعين، وتحت إمرة وإشراف إمام زمانها، سيد الساجدين، عليه‌السلام، تضفي معنى على الحياة قائم على «أسس نهضة» أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام.

إن النهج في الأرض، له صورة ظاهرة وحقيقة كامنة وخفية. كالشجرة التي تضرب بجذورها في أعماق الأرض وتظهر أغصانها وفروعها وأوراقها.

فالشجرة الفاقدة للجذور، ستنهار وتسقط علي الأرض مع أول عاصفة. إن الشكل الظاهر للشجرة، بحاجة الى أسس وجذور راسخة، مثلما أن شجرة الحياة، بحاجة إلى صرح صلب وأساس رصين وعماد متين تتكئ عليه أغصانها وأوراقها وثمارها.

وكلما كانت هذه الأعمدة والجذور أقوى وأصلب، كلما كان بقاء ودوام ومقاومة البناء أكثر، وبالتالي تزداد حصانته أمام الحوادث.

إن البناء المتجذر والضارب بأطنابه في الأرض، قادر على الحفاظ على من يقيمون فيه. لكن البناء الفاقد للجذور والأساس، ومهما كان جميلا وخلابا، ينهار مع أول حملة وارتجاج، ويلقى سكانه معه حتفهم.

إن زينب الكبرى، عليها السلام، تبني صرح الحياة الكبير على أساس التقاليد النابعة من نهضة الإمام الحسين، عليه‌السلام. وطالما ليس ثمة من يضفي معنى نبيلا على الحياة، فان الحياة، ستكون أشبه بمقبرة يخيم عليها السكوت والظلام، أو بمرتبة أدنى، ستكون حياة نباتية وحيوانية وغرائزية، لا تختزل إلا في الأكل و النوم و الغضب والشهوة.

وكما يقول الشاعر الايراني سعدي(رحمه‌الله):

إن الأكل والنوم والغضب والشهوة، هي شغب وجهل وظلمة

فالحيوان لا يعرف شيئا عن الحياة الآدمية

كن إنسانا حقا، وإلا تكن كالطائر

الذي يتحدث بلغة الآدمية

ونقل عن الإمام علي بن أبي طالب، عليه‌السلام، ما مضمونه:

«إنى أحب الحياة وأكره الدنيا»

فقيل: وما الفرق بين الحياة والدنيا؟ قال:

«إن الدنيا أكل ونوم وغضب وشهوة، والحياة نظرة فى عين طفل يتيم، ينظر إلى الإنسان من خلف ستار الشوق.»

وكان الإمام الحسين، عليه‌السلام، يرى بان بني أمية، قد دمروا جوهر وأساس حياة الناس. فالإمام لم يكن قادرا على إرساء صرح الحياة الرفيع، على أنقاض

الدناءة والحقارة. وقد قام الإمام بنهضته الدامية بتقوية وتعزيز الأسس، لكي تقوم جدران الحياة، بعد عاشوراء وواقعة كربلاء على أساس متين.

إن **الحياة الجديدة** لا يمكن أن تنتظم، من دون منظومة فكرية وعقائدية. لذلك وكما أسلفنا، فان «زيارة عاشوراء» ونظرا إلى مضامينها الراقية، يمكن أن تشكل المنظومة الفكرية والعقائدية للإنسان الشيعي والبقاء على التشيع، وإن بوسع الإمام المعصوم، عليه‌السلام وحده تفسير المضامين السامية لهذه الزيارة القدسية.

و قد أجمع عامة علماء الشيعة، طيلة التاريخ، على إقامة زيارة عاشوراء واستحبابها. بحيث أن زيارة الإمام الحسين،عليه‌السلام، وذكر مصائبه وإقامة مجالس العزاء له ولأصحابه الأوفياء، هي بمثابة القلب النابض للمعصومين، عليهم‌السلام، ومجمل المجالس التي تقام على امتداد السنة، باسم أي من أهل البيت، عليهم‌السلام.

مصادر و مستندات زيارة عاشوراء

إن المصدر الرئيسي لهذه الزيارة، ورد في كتاب «كامل الزيارات» تأليف جعفر بن محمّد بن قولوية قمي و «مصباح المتهجد» للشيخ الطوسي (قدس سره). وقد نقلا هذه الزيارة بستة أسناد.

وإستنادا إلى هذين المصدرين القيمين، فان هذه الزيارة الشريفة، تصل بثلاثة أسناد، إلى الإمام الباقر، عليه‌السلام.

ونقل الشيخ الطوسي، السند الرئيسي لزيارة عاشوراء:

قال علقمة بن محمّد الحضرمي، قلت لأبي جعفر، عليه‌السلام،: علّمْني دعاء أدعو به ذلك اليوم إذ أنا زرته من قرب وأومأت من بعد البلاد، ومن داري بالسلام إليه».

قال: فقال لي يا علقمة: إذا أنت صليت الركعتين بعد أن تومئ إليه بالسلام فقل عند الإيماء إليه من بعد التكبير هذا القول، فانّك إذا قلت ذلك فقد دعوت بما يدعوا زوّاره من الملائكة: السَّلامُ عَلَيكَ يا أبا عَبدِ اللهِ... »[1]

وسند الرواية هو: الشيخ الطوسي عن عليبن أحمدبن محمّد أبي جيد عن محمّد بن الحسن بن الوليد عن الصفار محمّد بن الحسين عن محمّدبن إسماعيل بن بزيع عن صالح بن عقبة بن قيس عن علقمة بن محمّد الخضرمي عن الإمام محمّد الباقر،عليه‌السلام.

ويؤكد المغفور له **آية الله الخوئي**، في «معجم رجال الحديث»، الجزء ١٠، الصفحة ٨٩ صراحة صحة أسناد الشيخ الطوسي حتى صالح بن عقبة.

وقد ذكرت هذه الرواية من حيث سلسلة الأسناد ووثاقة الرواة، بطرق أخرى، لكننا نحيل القارئ الكريم، إلى المصادر ذات الصلة وذلك على سبل الإختصار.

وقد نقل كتاب «مصباح المتهجد» للطوسي عن الإمام الصادق(ع) في فضيلة وثواب «زيارة عاشوراء». ويقول الامام لصفوان: إني وجدت هذه الزيارة مع هذا الضمان [الثواب والفضائل] عن أبي، الإمام الباقر، عليه‌السلام، وأبي عن الإمام السجاد، عليه‌السلام، إلى أن يصل إلى رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، والنبي عن جبرئيل وجبرئيل عن الله.[2]

كما ورد في كتاب «بحار الأنوار» عن علقمة بن محمّد الحضرمي، عن الإمام الباقر، عليه‌السلام، ما مضمونه أنه من زار الإمام الحسين، عليه‌السلام، بواسطة

---

١. الشيخ الطوسي، الفهرست، ص ١٤٧.
٢. مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، صص ٧٧٢ ـ ٧٨٧.

زيارة عاشوراء، فان الله تعالى يمنحه مائة ألف درجة، ويكون كمن استشهد مع الإمام الحسين، عليه‌السلام.

وهناك العديد من الروايات التي تؤكد ضرورة وحتى وجوب زيارة الإمام الحسين، عليه‌السلام، فقد روي عن الإمام الصادق عليه‌السلام أنه قال: «**زيارة الحسين‌بن علي واجبة على كل من يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجل**».[١]

أو:

«ومن لم يزر قبر الحسين فهو من أهل النار».[٢]

ولا يقصد المؤلف في هذا القسم، تبيان فضائل وثواب قراءة «زيارة عاشوراء» ومكاسب زيارة أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام؛ بل الإشارة إلى مكانة الزيارة وموقعها بوصفها تمثل «المنظومة الفكرية والعقائدية للإنسان الشيعي» وأبعد من ذلك الإنسان المسلم والحر.

إن القول بان من لم يزر قبر الحسين،عليه‌السلام، فهو من أهل النار، ليس إشارة إلى عقاب تعطيل عمل مستحب، بل التذكير بانه عندما يريد **الإنسان الشيعي الفاقد للمنظومة الفكرية، التحرك والإنطلاق من دون الإهتمام بالأسس والأركان المحددة للموت والحياة ومع نهضة الإمام الحسين، عليه‌السلام، ومن دون الإنتباه الى الوجهة والغاية المرسومة للسير في الأرض وعلى امتداد التاريخ، فان عاقبته ونهايته لن تكون سوى التعاسة والشقاء في قعر جهنم وذلك حسبما تنص عليه سنة الحياة التي لا تتغير.**

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٦٩.
٢. المصدر السابق، ص ٤.

وعندما سُئل الإمام الباقر، عليه‌السلام، حول سُنة العزاء في أيام عاشوراء الحسين، عليه‌السلام، قال:

قولوا: اَعْظَمَ اللهُ اُجُورَنا بِمُصابِنا بِالْحُسَيْنِ **عليه‌السلام** وَجَعَلَنا وَاِيّاكُمْ مِنَ الطّالِبينَ بِثارِهِ مَعَ وَلِيِّهِ الاِمامِ الْمَهْدِيِّ مِنْ آلِ محمّد عَلَيْهِمُ السَّلامُ»؛[1]

ونقل عن تشرف الحاج سيد أحمد رشتي في حضور ولي العصر، عليه‌السلام، أثناء رحلة الحج، فقال له الإمام:

«لم لا تقرأوا زيارة عاشوراء؟ عاشوراء! عاشوراء! عاشوراء!».[2]

التقرّب (مثلث القرب)

وإن سُئل زائر (مخلص) عن دافعه للزيارة وقراءة الزيارة، فانه يقول استنادا إلى نص الزيارة وما يدور في خلده، أنه تجشم عناء السفر، **بقصد التقرّب**.

ومقصود الزائر، هو القربة، وسواء زار من بعد أو عن قرب، فانه يقرأ في الزيارة:

«أتَقرَّبُ إلى الله»؛

وعلى النقيض من تصور السذج المعترضين، فان زيارة المعصومين، عليهم السلام، بقصد التقرب إلى الله، تمر عبر الذوات المقدسة والمقربين من الله.

---

١. كامل الزيارات، ص ١٧٥.
٢. قصص مذهلة، الشهيد دستغيب، ص ٣١٦.

وفيما يخص مفهوم زيارة أولياء الله، والتي تتم بقصد التقرب، فان ثمة ثلاثة موضوعات ومفاهيم يمكن الإشارة اليها، سميتها **مثلث القرب**، وهي **المعرفة والتولّي والتبرّي.**

المعرفة

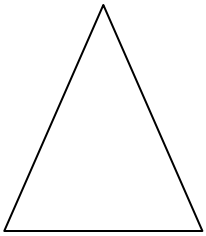

التولّي التبرّي

ولا يحصل التقرب إلى ساحة الباري تعالى اللامتناهية من دون التفكير والتذكر حول هذه المفاهيم الثلاثة أي «المعرفة والتولّي والتبرّي». فالتقرب رهن بظهور هذه الأمور الثلاثة المهمة لدى طالب القرب ويرتبط بهذه الموضوعات الثلاثة.

وكل هذه ليست ألفاظا تجري على اللسان وتفعل فعلتها، ومن لا يتذكر في وجدانه وروحه هذه المعاني الثلاثة، فانه سيلقى صعابا في طيرانه كالعنقاء نحو «جبل قاف» أي القبول والتقرب، ويتخلف عن الذهاب.

إن السير والسفر في شتى ميادين الحياة والطيران في رحاب سماء المحبة والمودة والمعرفة، بحاجة إلى جناحي «التولي والتبري»، الأمران اللذان أتينا على ذكرهما فيما تقدم، تحت مسمى **العشق المقدس والحقد المقدس**.

إن دراسة مضامين الأدعية والزيارات تظهر بان هذين المصطلحين الوحيانيين والقرآنيين، يبرزان في جميع مواقع تلك الأدعية والزيارات.

وقد اعتبر علماء الشيعة، **التولي التبري** الواردين في آيات «القرآن الكريم»، بانهما من «فروع الدين» وأحد الواجبات الإسلامية، وهما يعنيان **الصداقة مع أصدقاء الله والتقرب إلى أهل الحق والعداء مع أعداء الله والإبتعاد عن أهل الباطل**. إن جميع أعداء الدين والإنسان والخير والإحسان والحاقدين على الإسلام وأولياء الدين، ركزوا جل اهتمامهم على تحويل المسلمين إلى طائر يطير بجناح واحد فقط. إنهم يريدون قص جناح التبري لديه لكي يتوقف عن الطيران، في حين أن الأيات القرآنية تذكرنا دائما بجناحي الطيران هذين. ويقول الله تعالى في محكم كتابه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»؛[1]

وعلى النقيض من تصور السذج، فان موضوعي التولي والتبري بوصفها جناحي العشق والحق المقدسين، يحظيان بمستندات قرآنية. ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة «المجادلة»:

«لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»؛[2]

بعبارة أخرى، أنه لا يجب ولا يمكن لكم أن توادوا من حاد الله ورسوله.

إن الله سبحانه وتعالى قد أعلن جغرافيا التبري، فاوجبه واعتبره علامة للإيمان كما وضح نطاقه، بحيث أنه ورد في الآية المباركة أنه حتى لو كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم لا يتبعون الولاية والتولي لله ورسوله، فانه من غير المسموح لكم أن توادوهم.

---

١. سورة الممتحنة، الآية ١٣.
٢. سورة المجادلة، الآية ٢٢.

ففي وصف الحكايات والأحداث التي وقعت للأنبياء الإلهيين العظام، فقد تم تبيان هذا الأمر ونطاقه.

ففي حادثة الطوفان يتذكر النبي نوح، عليه‌السلام، إبنه الذي كان يصر على الكفر. وقد تحركت العاطفة الأبوية لديه ونادى إبنه لكي يركب السفينة شأنه شأن الآخرين، لكن الإبن لم يرد على أبيه. وكان الإبن يظن أن ما حدث هو هطول أمطار طبيعية، وستكف السماء عن الإمطار عاجلا أم آجلا. وحسب أنه سيأوي إلى جبل ليعصمه من الماء، لكنه لم يكن يعرف بأن:

«لا عاصِمَ اليَوْمَ مِن أمْرِ الله»؛[1]

إلا أن شدة الموج وارتفاع منسوب المياه، حالا دون نجاة ابن نوح **«فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ»**؛[2]

فقد رق قلب نوح، عليه‌السلام، لإبنه ودعا إلى الله لينقذ إبنه من الهلاك، لكن الله لم يستجب لدعائه وأوضح لنوح، عليه‌السلام، بان إبنه الذي يصر على الخطيئة والمعصية لا يستأهل النجاة، فنادى نوح، عليه‌السلام، ربه:

«وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ»؛[3]

لكن الله سبحانه وتعالى وضح لنوح ان أبنه لن ينجو من العذاب، لأنه عمل غير صالح، إذ قال:

«قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»؛[1]

---

١. سورة هود، الآية ٤٣.
٢. المصدر السابق.
٣. سورة هود، الآية ٤٥.

فقال نوح، عليه‌السلام:

«قَالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْأَلَکَ مَا لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِی وَتَرْحَمْنِی أَکُن مِّنَ الْخَاسِرِینَ»؛[٢]

«قِیلَ یَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَکَاتٍ عَلَیْکَ»؛[٣]

ویشیر القرآن الکریم إلی النتائج الحاسمة لاتخاذ أعداء الله، أولیاء، ویطلق التحذیر من هذا الأمر ویقول:

«یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَعَدُوَّکُمْ أَوْلِیَاء»؛[٤]

لقد بیّنت نطاق التبري والتولي ضمن موضوع العشق المقدس والحقد المقدس. فقد روي عن النبي الاکرم، صلی الله علیه وآله وسلم، قال:

«أوثَقُ عُرَی الإیمانِ الحُبُّ فِی اللهِ وَ البُغضُ فِی اللهِ، وتَوالی (وتَوَلّی) أولِیاءِ اللهِ والتَّبَرّی مِن أعداءِ اللهِ»؛[٥]

وبناء علی ذلك فانه یمکن اعتبار هذا المبدأ بوصفه **«حبل الله المتین»**.

إن السبیل للنجاة من السقوط في الهوة السحیقة، هو التمسك بحبل متین. ویتحدد حبل الله المتین، في بعدین مهمین، هما التولي لاولیاء آل محمّد(ص) والتبري من أعداء آل محمّد، صلی الله علیه وآله وسلم. وقال الإمام الصادق، علیه‌السلام:

«حُبُّ أولِیاءِ اللهِ وَ الولایَةُ لَهُم واجِبَةٌ، والبَراءَةُ مِن أعدائِهِم واجِبَةٌ»؛[٦]

---

١. المصدر السابق، الآیة ٤٦.
٢. المصدر السابق، الآیة ٤٧.
٣. المصدر السابق، الآیة ٤٨.
٤. سورة الممتحنة، الآیة ١.
٥. المیزان، ج ٩، صص ٦٠ و ٦١.
٦. الشیخ الصدوق، الخصال، ج ٢، ص ٦٠٧.

دقائق منظومة فكرية وعقائدية عاشورائية ما

عندما نتحدث عن «زيارة عاشوراء» كمنظومة فكرية وعقائدية، فان هذه المنظومة يجب أن تتضمن بالضرورة جميع دقائق منظومة فكرية وعقائدية حقيقية.

إن هذه الزيارة، توضح نطاق وميدان عمل الشيعة في مجال التولّي والتبرّي، ولا تغفل أيا من الميادين النظرية والعملية (الفردية والجماعية) في كلا الجبهتين الصديقة منها وغير الصديقة.

ولا يخفى، أن الإنسان يتعامل مع المجالات «الفكرية والنظرية» قبل أن يخوض ميادين العمل والتطبيق المادية. وفي هذا الميدان، حيث تتوضح وتُرسى الأسس والركائز، يتم تعبئة المواد اللازمة والضرورية، وتحاشي النفايات والفضلات الثقافية.

إن عبارات «اللعن» الواردة في الآيات والروايات، لاسيما في «زيارة عاشوراء» وما تعني إصطلاحا «المطرود من رحمة الله»، تنطوي على أشمل البيان وأبلغه.

واللعن في اللغة، يعني الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته، وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره.[١]

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا»؛[١]

١. راغب الاصفهاني، حسين‌بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، ص ١٤١.

ولم يورد المفسرون في تفسير هذه الآية شأن نزول خاص، لكن يتضح من الروايات الواردة في كتب الشيعة وأهل السنة، بان إيذاء أهل بيت النبي الاكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما علي، عليه‌السلام، وفاطمة الزهراء، عليها السلام، مشمول بهذه الآية، أي إن من يؤذيهم، فان لعنة الله تلاحقه في الدنيا والآخرة ويعد الله له عذابا مهينا، لانه وكما جاء في كتب الشيعة وأهل السنة، فان النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إِنّ فَاطِمَةَ بِضْعَةٌ مِنّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»؛[٢]

ومع الرجوع إلى الآيات القرآنية يظهر بان موضوع ومفهوم «اللعن» (الطرد من الرحمة الإلهية) بُيّن حول أربع مجموعات:

١. **كاتمو الحقيقة**: ونقرأ في «سورة البقرة، الآية ١٥٩»

«إِنّ الّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِکَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ»؛

٢. **قاتلو المؤمنين**: وهؤلاء هم المجموعة الملعونة الثانية، إذ نقرأ في «سورة النساء، الآية ٩٣»:

«وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»؛

٣. **ناقضو العهد والمفسدون**: وهم المجموعة الملعونة الثالثة، إذ نقرأ في «سورة الرعد الآية ٢٥»:

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٥٧.
٢. العلامة الأميني، الغدير، ج ٧، ص ١٧٤؛ كما رواه الشيعة والسنة عن الرسول الأكرم(ص).

«وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»؛

٤. **الذين يؤذون الله ورسوله**: وهم المجموعة الرابعة التي لعنها الله والمطرودون من رحمته، إذ نقرأ في «سورة الأحزاب، الآية ٥٧»:

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا»؛

إن درك مفاهيم هذه الآيات وتحديد مصاديق المطرودين من رحمة الله، أمر سهل جدا.

فطوال التاريخ وفي خضم التقلبات التي شهدتها الحياة الثقافية والحضارية للمسلمين والمستضعفين، برزت العديد من الشخصيات الطبيعية والإعتبارية شكلت مصدرا للتيارات الشهيرة واضطلت بدور في الحياة العامة للجماهير، ووضعت بدعا أو أسست لتقاليد.

إن كاتمي الحقيقة وقاتلي المؤمنين والمفسدين في الأرض وناقضي العهد وإجمالا من يؤذون الله ورسوله، يمكن تحديدهم على الدوام.

إن الآيات والروايات وسيرة وسنة النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، والمعصومين، عليهم السلام وبالتالي رفضهم أو قبولهم، يكفي لأي إنسان مخلص ومحايد ليستند إليها في تحديد المصاديق الفردية والجماعية وحتى التيارات السياسية والإجتماعية وتوضيح موقفه منها واتباع التبري قولا وفعلا، لينأى بنفسه عن التداعيات والتبعات السلبية لتأييد الظالمين ونبذ المظلومين.

تباعد الفعل عن القول

بما أن قراءة الأدعية والزيارات وإقامة مجالس العزاء والفرح أصبحت مقتصرة على مناسبات وأيام بعينها، فانه لا تتوفر إمكانية إنتشار الإنطباعات والمفاهيم الواردة في هذه الأدعية والزيارات والتي تشكل في الحقيقة مقياسا للتشخيص والعمل الفردي والإجتماعي، على نطاق واسع.

والإشكالية تعود إلينا، لأننا أضفينا طابعا بروتوكوليا وشكليا على كل ذلك المخزون الثقافي القيم من جهة، واعتبرنا أن مضمار العمل والإفادة من مضامين الأدعية والزيارات يقتصر على اكتساب الثواب الأخروي ودفع العقوبة في المحشر من جهة أخرى. لذلك فان هذه الآثار والنتائج قد خرجت من مضمار عملنا الفردي والجماعي ضمن المناسبات والعلاقات الثقافية والحضارية.

ولم يُتح لنا مجال في نطاق تحصيلنا العلمي العام وحتى التخصصي، للرجوع إلى هذه المصادر والمستندات، بينما تقوم مصادر التعليم المعمول بها في المستويات المختلفة للتربية والتعليم الإبتدائي والمتوسطة والعالي ببناء الأسس النظرية والثقافية للتعاملات والعلاقات الاقتصادية والإجتماعية والسياسية والأسرية و....

وللإسف فان الجامعة والتعليم الجامعي، لا يتلاقى مع هذه المصادر (الأدعية والزيارات والروايات)، بحيث فُرغت المناسبات والأيام الخاصة من المفاهيم المعمقة الواردة في هذه المصادر، المناسبات التي تشكل منعطفات مهمة للمؤمنين ويمكن الإستعانة بها للتفكير في كيفية الوجود والعيش [نمط الحياة] في الأرض.

كما أن الفروع التخصصية للعلوم الإنسانية ورغم أنها تصنع صورة وسيرة الحياة الفردية والجماعية، للناس، لكنها لا تتلاقى مع مجمل التعاليم آنفة الذكر.

إن المنظومة التعليمية الكبرى بكل نفقاتها وتكاليفها ووجهها الظاهر والخفي، تخذلنا ومجتمعنا في المنعطفات المهمة، ولا تضطلع بدور بارز في عملية صنع القرار.

ولا شك بان المعلم والتلميذ، الأستاذ والطالب، المهندس والعامل بجانب عامة الجماهير، يشاركون في مجالس العزاء والتأبين في أيام الحداد المتعلقة بالقدوات والأولياء، ويرتدون ثياب الحداد، كما يشاركون في أيام الفرح والسرور في الإحتفالات ذات الصلة، لكن ومع انتهاء هذه الأيام، فان كل تلك التقاليد والسنن والتعاليم الواردة فيها وكل تلك الأدعية والزيارات، لا تتدخل في شؤونهم النظرية والتطبيقية وتحصيلهم العلمي.

إن انفصال الزيارة والشعائر الدينية ومراسم التكريم والتأبين في أيام الحداد والسرور عن المناسبات العلمية والتعليمية، أدى إلى إفراغ حياة الناس من محتواها أو على الأقل، ألا تقتبس أساسها وجوهرها من التعاليم الدينية. وهذا الأمر، أدى إلى أن يصبح صرح المناسبات والتعاملات الفردية والجماعية للناس، بلا أعمدة وبلا حسين، عليه‌السلام، وبلا حب وبلا بغض مقدس.

وإن لم يتم ملاحظة ودراسة دور السنن والشعائر الدينية ومراسم التكريم والتأبين والحداد والإحتفالات في المناسبات والتعاملات، فان هذا الوضع سيستمر، وينتشر ويستشري الفساد والضياع والتفرق والتشتت أكثر فاكثر بين الناس.

فان أعلن متحدث من خلال وسيلة إعلامية أن من الضروري دراسة وكشف النسبة بين العمارة وبناء المدن من جهة و«زيارة عاشوراء» من جهة أخرى، فان الذهول والإندهاش سيستوليان على الإنسان. وسيقول متخصصو فرع بناء المدن والعمارة ما العلاقة بين هذين الإثنين؟ إدرسوا وناقشوا هذه العلاقة والنسبة في فروع الإقتصاد والشؤون المالية، وهكذا دواليك في سائر الفروع الدراسية، فان موضوع كشف العلاقة والنسبة، أمر يستحق التأمل والتوقف عنده.

والمهم أنه لا يتم تشخيص وتحديد النسبة والعلاقة بين التعاملات والمناسبات الثقافية والحضارية التي تقرر المصير والمستقبل المنظور والمستقبل البرزخي والمتعلق بالقيامة من جهة وبين الشعائر الدينية والزيارات والأدعية والمناسبات من جهة أخرى.

وكان الإمام الحسين، عليه‌السلام، يرى أن مجمل العلاقات الفردية والجماعية للمسلمين في القرن الواحد والستين للهجرة، منهارة وفاسدة ومضطربة وبعيدة كل البعد عن الحق والحقيقة، لذلك فانه انتفض من أجل إصلاح دنيا المسلمين ودينهم.

وكان الإمام يرى أن الدعائم الثقافية والحضارية للمسلمين، مهتزة، وقائمة على أرض وحلة وعفنة، لا تتيح إمكانية بناء صرح الحياة الجديدة على أنقاضها.

وإن كان الإمام ينوي بناء الحياة قبل تهديم أسس الفساد وتجفيف منابع الوحل، لكانوا يستشكلون عليه ويقولون له:

لا يمكن بناء صرح الحياة المتين، على أرض عفنة ووحلة. وكان الإمام، عليه‌السلام، مضطرا لتجديد حياة الأركان المهدمة لكي يقوم في النهاية، إبنه الجدير،

الإمام المهدي، عليه‌السلام، ببناء الحضارة الكريمة والدولة الطيبة على أسس وثيقة وصلبة.

وبلا شك فان هذا السؤال يطرح نفسه: ما هو دور وواجب الشيعة في هذا الخصوص؟

فقد تم التأكيد في الروايات المسلم بها وبادبيات مختلفة، بان انتظار الفرج، يشكل أهم واجب للمؤمنين في عصر الغيبة.

فالفرج يعني الإنفراج والإنكشاف بعد الشدة والمشقة. والفرج في عصر الظهور، لا يقتصر على الشؤون الملكية والمادية والخاصة للإنسان. واستنادا إلى الروايات المهدوية المهمة، فان الفرج والإنفراج في عصر الظهور المهدوي، يقع لمجمل الشؤون الملكية والثقافية لجميع الكائنات أكانت النباتات أو الحيوانات أو البشر وحتى الأنبياء والأولياء الإلهيين.

ففي الروايات المتعلقة بالإنتظار، أستخدمت كثيرا عبارة أفضل الأعمال وأفضل العبادة. فقد قال النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم:

أَفْضَلُ العِبادَةِ انتِظارُ الفَرَج»؛[١]

وقال، صلى الله عليه وآله وسلم، في حديث آخر:

«أَفْضَلُ أعْمالِ أُمَّتى انتِظارُ فَرَجٍ مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ»؛[٢]

وقال امير المؤمنين علي، عليه‌السلام:

«أَفْضَلُ العِبادَةِ الصَّبْرُ والصَّمْتُ وَإِنْتِظارُ الفَرَجِ»؛[٣]

---

١. بحارالأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥.
٢. المصدر السابق، ص ١٢٢.
٣. الشيخ الصدوق، الخصال، ج ٢، ص ٦٢٥.

وحتى أن الإمام الصادق، عليه‌السلام، اعتبر هذا المفهوم في رواية بمنزلة دين الأئمة، عليهم السلام، وقال:

«مِنْ دينِ الأئِمةِ الوَرَع والعِفَةُ والصَّلاحُ...» إلى قوله «وانتظارُ الفَرَج بالصَّبْر»؛[1]

إن شيعة آل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم، يرتدون في عصر الغيبة، لباس المنتظرين، ويعيشون في ضوء الزيارة الحمراء.

إن الزيارة الحمراء، تتجسد في مثلث القرب أي المعرفة والتولّي والتبرّي. وهذه الزيارة واستنادا إلى المنظومة الفكرية والعقائدية للإنسان الشيعي، متبلورة في «زيارة عاشوراء» وتعين الشيعة، في تقلبات التاريخ حتى فصل الظهور الأكبر على التموضع والقبول والرفض والعيش على الهامش و... شريطة أن ينظروا بتفكر وتأمل وروية إلى هذه المنظومة وألا يدفعوا بها إلى هامش العلاقات الثقافية والحضارية الفردية والجماعية.

تعاليم هذه المنظومة

تبيان أسس العمل الجائر

وعندما يشاهد عموم رجال السياسة والكثير من مصلحي العلاقات الإجتماعية وبتبعهم عامة الناس، الإضطرابات، يوجهون أنظارهم بداية إلى الأوجه المادية والخارجية للعلاقات، ويبحثون عن العلائم الجلية والملموسة للظلم الممارس، لكن أهل المعرفة والفكر، ينظرون بداية إلى الأسس والمبادئ المثبتة للعمل الجائر

---

١. ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٩٤، ح ١٣٠٠.

ويبداون تحديد الحالات وإصلاح العلاقات، من الأسس. إن هؤلاء يعرفون جيدا أنه فيما عدا ذلك، فان الظالم والظلم سيعودان مرة تلو المرة من خلال تغيير الأوجه ويصرون على أفعالهمم، لذلك فان المصلحين والمجددين الحقيقيين وتعويلا على الفكر والمعرفة، لا يغفلون دائما أسس وركائز الظلم والعمل الظالم.

إن هذا الأمر، واضح بالنسبة لجميع المجالات الثقافية والحضارية الملحدة والظالمة، بحيث أنه في العصر الحديث وحتى العالم الاسلامي، ورغم مجاهدة المجاهدين المستضعفين وصرف النفقات المادية والمعنوية، فان الركائز النظرية والمادية والمصادر المشركة الناتجة عن الهيمنة الثقافية والحضارية الغربية، بقيت، وغلبت باطنها الدنئ على العلاقات والتعاملات العامة للمستضعفين من خلال تغيير الأوجه وإيجاد البدائل.

ففي هذه الزيارة، التي ذكرتها مرارا تحت عنوان «المنظومة الفكرية والعقائدية» للإنسان الشيعي، فان الزائر السالك لطريق أهل البيت، عليهم السلام، يجب عليه في الخطوة الأولى أن ينتبه إلى «أسس وركائز ومبادئ» العمل الجائر.

وذات يوم، وفي ختام محاضرة سألني طالب عن واجبه في هذا العصر والزمان، عصر الغيبة. سألته بداية عن فرعه العلمي، فاستغرب. قلت له:

لقد اعتدنا أن نصف أثناء الحديث عن الغيبة وواجب المنتظرين، وصفة موحدة لعامة الناس، سواء العامي والعالم والرجل والمرأة والصغير والكبير، فمثلا أن يدعوا الجميع للإمام ويتصدقون و...، فهذا كله صحيح وفي محله لكن هذا لا يؤدي إلى تغير العلاقات والتعاملات الفردية والجماعية للناس في عصر الغيبة والمبنية على ثقافة الإنتظار.

ففي «الزيارة الحمراء» زيارة المنتظرين المجاهدين، فان الرجوع إلى الأسس والركائز والمبادئ المثبتة للأوجه المادية للحياة للسير على امتداد التاريخ، يعد مبدأ.

إن أيا من أوجه العلاقات والتعاملات الحضارية، غير منفصلة عن الركائز النظرية. فهذا نابع من سذاجتنا أن نظن بان الأوجه الحضارية السارية والجارية في عصرنا، تفتقد إلى الركائز الفكرية والنظرية. إن مجمل الأوجه قائمة على الدعائم الفكرية والباطنية الخاصة بها.

ولتكن من تكن ولتكن حيثما تكن، ولتعمل في أي مهنة وحرفة، واهتم بها، لكنك يجب أن تتأمل في مبادئ [الزيارة] وأساس ما تشتغل به وتبنيه وما تؤديه أو ترفضه وتكتشف علاقته مع الحقائق الجلية والواضحة الواردة في الكلام الوحياني والروايات الواردة من المعصومين، عليهم السلام، وإلا فان الزيارة ستنحو منحنى وتنحو أنت منحى آخر.

وفي هذا الوقت، فان أي شخص وفي أي هيئة وتوجه كان، سيكتشف من أين يأخذ مبادئ وركائز ما يبنيه ويصنعه. ويكتشف علاقته بالعشق المقدس والحقد المقدس. ويتضح له بانه تخلى في غفلة تامة عن هذه المبادئ وأصبح عمله بلا أساس.

ونقرأ في جانب من الزيارة الحمراء «عاشوراء» ما يلي:

«فَلَعَنَ اللّهُ اُمَّةً اَسَّسَتْ اَساسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ»؛

إن مجمل الشجرة الخبيثة للظلم والعدوان على حقوق وحدود ولي الله وشريعة آلمحمّد، صلى الله عليه وآله وسلم،، لا يختزل في جيش «الكوفة» وعمل عمر بن

سعد وشمر. أن هؤلاء يعتبرون في مراتب دنيا، عمال الظلم، وحتى أن يزيد وبلاط «الشام» لا يشذان عن هذه القاعدة.

إن هذه الشجرة ضربت بجذورها في تربة أخرى ونهلت من منهل آخر. إن عدم الإطلاع على هذه التربة والمنابع التي تروي هذه الشجرة الملعونة، يتسبب في أن الظلم يسلط نفسه في هيئة جديدة، على مقدورات ومقدرات الأمة المستضعفة من خلال حذف الذيول الميدانية اللاسعة (جيش الكوفة).

ولماذا يعتبر تاريخ عدة آلاف عام مضت، تاريخ تغيير الأوجه وتداوم العمل الجائر، في حين أن الألوف المؤلفة من المجاهدين في كل عصر، ضحوا بانفسهم في مواجهة الظالم بكل ما يملك من أدوات ومعدات.

معنى ومفهوم الظلم

لا يقتصر مفهوم الظلم على الدعاوى والقضايا الحقوقية والقانونية وتناقل الأموال والتعدي والعسف.

لقد بُيّن الظلم في مقابل العدل. وفيما يخص معنى ومفهوم غياب العدل فان هذا المفهوم تكرر في القرآن الكريم، ٢٨٩ مرة.

ويرى أصحاب اللغة، إن الظلم هو تجاوز الحد ووضع الشئ في غير موضعه. وقيل أن الظلم هو وضع الشئ في غير محله وفي الشريعة عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور.[١] لذلك فان مصاديق الظلم خارجة عن الحد والعدّ.

---

١. كشاف اصطلاحات الفنون.

إن أنواع الظلم السائدة بين الناس بشأن الدعاوى الحقوقية والقانونية، تشكل مصاديق محدودة عن الظلم. ويشترك الظلم مع مفردة الظلمة بجذور واحدة. فالظلام والعتمة، هما نتيجة ممارسة الظلم.[١]

وبهذا المعنى والمفهوم، فان الكفار والمشركين والمنافقين والمعتدين على الحدود والثغور ومغتصبي مال اليتيم وأصحاب الردة وأولئك الذين يعتبرون عيسى، عليه‌السلام، إبن الله والمذنبين وطاردي المؤمنين وبصفة عامة أصحاب العمل الباطل، يعتبرون ظالمين.

ونظرا إلى هذا المعنى والمفهوم فان الظالمين يقفون في طابور طويل، إذ ينقسمون إلى واحدة وثمانين فرقة حسب آيات القرآن الكريم.

مصاديق الظلم والجور في الآيات القرآنية

١. الذين يُمسكون نساءهم ضِراراً ليعْتَدُوا؛[٢]

٢. جماعة من قوم موسى(ع) ممن اتخذوا العجل ليعبدوه (اليهود)؛[٣]

٣. جماعة من قوم موسى(ع) ممن بدلوا قول الله؛[٤]

٤. المشركون؛[٥]

٥. الذين لا يقابلون النِعَم بالشكر؛[٦]

٦. الذين لا يقيمون حدود الله؛[١]

---

١. المفردات، ص ٣١٥.
٢. سورة البقرة، الآية ٢٣١.
٣. المصدر السابق، الآية ٥٤.
٤. المصدر السابق، الآية ٥٩.
٥. المصدر السابق، الآية ١٦٥.
٦. المصدر السابق، الآية ٥٧.

٧. الكفار؛[٢]

٨. ثوم ثمود؛[٣]

٩. أولياء الظالمين؛[٤]

١٠. آكلو مال اليتامى ظلما؛[٥]

١١. الذين يفترون على الله كذبا؛[٦]

١٢. الذين يكذبون أنبياء الله؛[٧]

١٣. الذين يحتكمون إلى غير الله والرسول(ص) والأحكام الإسلامية؛[٨]

١٤. الذين يتهمون أنبياء الله؛[٩]

١٥. قوم نوح؛[١٠]

١٦. الذين يجحدون بآيات الله؛[١١]

١٧. الذين يسخرون من المؤمنين ويتنابزون بالألقاب؛[١٢]

١٨. الذين يتولون الكفار؛[١٣]

١٩. الذين يكفرون بعد إيمانهم؛[١٤]

٢٠. المسيئون؛[١٥]

---

١. المصدر السابق، الآية ٢٢٩.
٢. المصدر السابق، الآية ٢٥٤.
٣. سورة الإسراء، الآية ٥٩.
٤. سورة الأنعام، الآية ١٢٩.
٥. سورة النساء، الآية ١٠.
٦. سورة آل عمران، الآية ٩٤.
٧. سورة النحل، الآية ١١٣.
٨. سورة النور، الآية ٥٠.
٩. سورة الفرقان، الآية ٨.
١٠. سورة العنكبوت، الآية ١٤.
١١. المصدر السابق، الآية ٤٩.
١٢. سورة الحجرات، الآية ١١.
١٣. سورة الممتحنة، الآية ٩.
١٤. سورة آل عمران، الآية ٨٦.
١٥. المصدر السابق، الآية ١٩٢.

٢١. القتلة؛[١]

٢٢. الذين يتخذون اليهود والنصارى أولياء؛[٢]

٢٣. الذين يعتبرون، عيسى(ع) إبن الله؛[٣]

٢٤. الذين يعتدون على الحق والأحكام الإلهية؛[٤]

٢٥. الذين يُقسمون ويشهدون زورا؛[٥]

٢٦. الذين يكذبون النبي الأكرم(ص) والآيات الإلهية؛[٦]

٢٧. الذين يطردون المؤمنين؛[٧]

٢٨. المنافقون؛[٨]

٢٩. الذين يستعجلون العذاب الإلهي؛[٩]

٣٠. الذين يخوضون في آيات الله؛[١٠]

٣١. تاركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛[١١]

٣٢. الذين يضلون الناس؛[١٢]

٣٣. المفسدون في الأرض؛[١٣]

٣٤. الذين يقربون الشجرة المحظورة في الجنة؛[١٤]

---

١. سورة المائدة، الآية ٢٩.
٢. المصدر السابق، الآية ٩.
٣. المصدر السابق، الآية ٧٢.
٤. المصدر السابق، الآية ١٠.
٥. المصدر السابق.
٦. سورة الأنعام، الآية ٣٣.
٧. المصدر السابق، الآية ٥٢.
٨. سورة الحشر، الآية ١٧
٩. سورة الأنعام، الآية ٥٨
١٠. المصدر السابق، الآية ٦٨
١١. المصدر السابق، الآية ١٢٩، وفقا للروايات
١٢. المصدر السابق، الآية ١٤٤
١٣. سورة الاعراف، الآية ٥
١٤. المصدر السابق، الآية ١٩.

٣٥. المذنبون؛[١]

٣٦. أصحاب النار؛[٢]

٣٧. عبدة العجل من بني‌إسرائيل؛[٣]

٣٨. آل فرعون وكفار قريش؛[٤]

٣٩. الذين يساوون بين الاشخاص غير المتكافئين؛[٥]

٤٠. المنافقون وأتباعهم؛[٦]

٤١. الذين يؤسسون بنيانهم على الباطل؛[٧]

٤٢. الذين يكذبون أو يؤيدون من دون علم؛[٨]

٤٣. الذين يفترون على الله كذبا؛[٩]

٤٤. الذين يتحدثون بالباطل؛[١٠]

٤٥. الذين لا يعطون الخمس والزكاة؛[١١]

٤٦. اللواطيون؛[١٢]

٤٧. السارقون؛[١٣]

٤٨. الذين يعارضون الأنبياء؛[١٤]

---

١. المصدر السابق، الآية٤١.
٢. المصدر السابق، الآية ٤٤.
٣. المصدر السابق، الآية ١٤٨.
٤. سورة الأنفال، الآية ٥٤.
٥. سورة التوبة، الآية ١٩.
٦. المصدر السابق، الآية ٤٧.
٧. المصدر السابق، الآية ١٠٩.
٨. سورة يونس، الآية ٣٩.
٩. سورة هود، الآية ١٨.
١٠. المصدر السابق، الآية ٣١.
١١. سورة الأنعام، الآية ١٢٩.
١٢. سورة هود، الآية ٨٣.
١٣. سورة يوسف، الآية ٧٥.
١٤. سورة ابراهيم، الآية ١٣.

٤٩. أتباع الشيطان؛[١]

٥٠. أتباع المدارس غير الإلهية؛[٢]

٥١. قوم شعيب؛[٣]

٥٢. الذين يعاندون الحق؛[٤]

٥٣. أولياء الطاغوت؛[٥]

٥٤. عبدة الشيطان؛[٦]

٥٥. عديمو التقوى؛[٧]

٥٦. الذين ينتهكون قانون الله؛[٨]

٥٧. الذين لا يتنبهون لبشائر الأنبياء وإنذاراتهم؛[٩]

٥٨. الذين يتركون الأولى؛[١٠]

٥٩. الذين في قلوبهم مرض؛[١١]

٦٠. الذين يعبدون من دون الله؛[١٢]

٦١. قوم فرعون؛[١٣]

٦٢. الذين يتبعون أهواءهم؛[١٤]

---

١. المصدر السابق، الآية ٢٢.
٢. المصدر السابق، الآية ٢٧.
٣. سورة الحجر، الآية ٧٨.
٤. سورة الإسراء، الآية ٨٢.
٥. سورة الكهف، الآية ٢٩.
٦. المصدر السابق، الآية ٥٠.
٧. سورة مريم، الآية ٢٧.
٨. سورة الأنبياء، الآية ١١.
٩. المصدر السابق، الآية ٤٦.
١٠. المصدر السابق، الآية ٨٨.
١١. سورة الحج، الآية ٥٣.
١٢. المصدر السابق، الآية ٧١.
١٣. سورة الشعراء، الآية ١١.
١٤. سورة القصص، الآية ٥٠.

٦٣. الذين لا يهتمون بدعوة الأنبياء؛[١]

٦٤. الذين يجرحون مشاعر الأبرياء؛[٢]

٦٥. الغافلون؛[٣]

٦٦. الآثمون؛[٤]

٦٧. الضالون عن الطريق القويم؛[٥]

٦٨. المسيئون عملا؛[٦]

٦٩. الذين يعتدون على حقوق الآخرين؛[٧]

٧٠. الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؛[٨]

٧١. الذين يتبعون أهواء الجاهلين؛[٩]

٧٢. المتكبرون؛[١٠]

٧٣. الشيطان؛[١١]

٧٤. العلماء من دون عمل؛[١٢]

٧٥. الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتمون صفات النبي الأكرم(ص)؛[١٣]

٧٦. البخلاء؛[١٤]

---

١. سورة فاطر، الآية ٣٧.
٢. سورة الصافات، الآية ٦٣.
٣. سورة الزمر، الآية ٢٤.
٤. سورة غافر، الآية ١٨.
٥. سورة الشورى، الآية ٢١.
٦. المصدر السابق، الآية ٢٢.
٧. المصدر السابق، الآية ٤١.
٨. المصدر السابق، الآية ٤٥.
٩. سورة الجاثية، الآية ١٩.
١٠. سورة الأحقاف، الآية ١٠.
١١. سورة الحشر، الآية ١٧.
١٢. سورة الجمعة، الآية ٥.
١٣. المصدر السابق، الآية ٧.
١٤. سورة الحديد، الآية ٢٤.

٧٧. المتمردون على الأحكام الإلهية؛[١]

٧٨. الذين يسيئون استغلال النعم الإلهية؛[٢]

٧٩. الذين يخونون الأمانات؛[٣]

٨٠. قتلة الأنبياء؛[٤]

٨١. الذين يجالسون أصدقاء السوء؛[٥]

وكما يُلاحظ فانه يمكن توزيع مصاديق الظلم على ثلاث فئات رئيسية هي الفكرية والثقافية والعملية، وهي تغطي عامة التعاملات والعلاقات. ومع ذلك، فانه من بين الظالمين والجائرين الكثر الذين تواجدوا على امتداد التاريخ على الكرة الأرضية، هناك عدة فئات هي الاكثر ظلما وجورا:

أكثر الأفراد والمجموعات ظلما

١. الذين يمنعون مساجد اللّه أَن يُذْكر فِيها اسْمُهُ؛[٦]

٢. الذين يكتمون الشهادة؛[٧]

٣. الذين يفترون على الله كذبا أو يكذبون بآياته؛[٨]

٤. الذين يقولون إنه أوحي إليهم ولم يوح إليهم شئ؛[٩]

---

١. سورة الإنسان، الآية ٣١.
٢. سورة إبراهيم، الآية ٣٤.
٣. سورة الأحزاب، الآية ٧٢.
٤. سورة آل عمران، الآية ١٨٢.
٥. سورة ق، الآية ٢٩.
٦. سورة البقرة، الآية ١١٤.
٧. المصدر السابق، الآية ١٤٠.
٨. سورة الأنعام، الآية ٢١.
٩. المصدر السابق، الآية ٩٣.

٥. الذين يضلون الناس؛[١]

٦. الذين يصدفون عن آيات الله؛[٢]

٧. الذين يفترون على الله كذبا؛[٣]

٨. الذين يكذبون بالحق؛[٤]

٩. الذين يكذبون بالصدق؛[٥]

١٠. قوم نوح؛[٦]

١١. الذين يُدعون إلى الإسلام ويرفضونه.[٧]

وحسب السنة الإلهية التي لا تغيير فيها، فان الظلم والجور يتسببان بتداعيات فظيعة لجميع سكان الأرض والسماء ولكل الكائنات من الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان. لذلك فان الله تعالى وضع جزاء خاصا للظالم الذي سيطاله هذا الجزاء في كافة العوالم الدنيوية والأخروية وعالم البرزخ. وحسبما تشير الآيات القرآنية، فان الظالمين سيرون نتائج عملهم باشكال مختلفة.

ولذلك فان أمير المؤمنين علي(ع) إمام العدل يقول:

«وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا».[١]

---

١. المصدر السابق، الآية ١٤٤.
٢. المصدر السابق، الآية ١٥٧.
٣. سورة الكهف، الآية ١٥.
٤. سورة العنكبوت، الآية ٦٨.
٥. سورة الزمر، الآية ٣٢.
٦. سورة النجم، الآية ٥٢.
٧. سورة الصف، الآية ٧.

إن بعض آثار وتبعات الظلم التي أشار إليها القرآن الكريم هي:

١. الظالمون يُعذبون في الدنيا والآخرة؛[٢]

٢. الظالمون يرون عذابا أليما يوم القيامة؛[٣]

٣. قتل بنيإسرائيل أنفسهم لإتخاذهم العجل؛[٤]

٤. يُحشرون مع الشيطان في النار؛[٥]

٥. يرون شديد العذاب؛[٦]

٦. يضلون ضلالا ولا يهديهم الله طريقا؛[٧]

٧. يُقطع دابرهم؛[٨]

٨. يكونوا قردة خاسئين؛[٩]

٩. يُهلكون؛[١٠]

١٠. يذوقون عذاب الخلد؛[١١]

١١. ينزل العذاب من السماء عليهم؛[١٢]

١٢. لا يُخفف عنهم ولا يُنظرون؛[١٣]

١٣. التعاسة والشقاء؛[١]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.
٢. سورة الكهف، الآية ٨٧.
٣. سورة يونس، الآية ٥٤.
٤. سورة البقرة، الآية ٥٤.
٥. سورة الزخرف، الآية ٣٩.
٦. سورة البقرة، الآية ١٦٥.
٧. سورة النساء، الآيتان ١٦٧ ـ ١٦٨.
٨. سورة الأنعام، الآية ٤٥.
٩. سورة الأعراف، الآية ١٦٦.
١٠. سورة يونس، الآية ١٣.
١١. المصدر السابق، الآية ٥٢.
١٢. سورة هود، الآية ٦٧.
١٣. سورة النحل، الآية ٨٥.

١٤. لا تشملهم الشفاعة؛[٢]

١٥. سيعلمون أي منقلب ينقلبون؛[٣]

١٦. تكون بيوتهم خاوية؛[٤]

١٧. لا تنفع معذرتهم يوم القيامة؛[٥]

١٨. يذوقون عذاب النار؛[٦]

١٩. يُحاسبون؛[٧]

٢٠. وإن افتدوا ما في الأرض جميعا، لا ينجون من سوء العذاب؛[٨]

٢١. ينتظرهم عذاب أليم؛[٩]

٢٢. يذوقون عذابا كبيرا؛[١٠]

٢٣. يُعذبون في البرزخ [أيضا][١١]

٢٤. تُحَرَّم علْهِم طَيِّباتٍ أُحِلَّت لهُم؛[١٢]

٢٥. تأخذهم الصاعقة بظلمهم؛[١٣]

٢٦. الشعور بالندم الشديد يوم القيامة؛[١٤]

٢٧. لا يفلحون؛[١]

---

١. سورة الكهف، الآية ٥٩.
٢. سورة المؤمنون، الآية ٢٧
٣. سورة الشعراء، الآية ٢٢٧
٤. سورة النمل، الآية ٥٢.
٥. سورة الروم، الآية ٥٧.
٦. سورة سبأ، الآية ٤٢.
٧. سورة الصافات، الآية ٢٢.
٨. سورة الزمر، الآية ٤٧.
٩. سورة الزخرف، الآية ٦٥.
١٠. سورة الفرقان، الآية ١٩.
١١. سورة الطور، الآية ٤٧.
١٢. سورة النساء، الآية ١٦٠.
١٣. المصدر السابق، الآية ١٥٣.
١٤. سورة الفرقان، الآية ٢٧.

٢٨. يُجزون عذاب الهون إذا حضرهم الموت؛[٢]

٢٩. يأخذهم الطوفان؛[٣]

٣٠. يوقفون عند ربهم؛[٤]

٣١. ليس لهم وليّ ولا نصير؛[٥]

٣٢. الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم؛[٦]

٣٣. لا ينالون عهد الله؛[٧]

٣٤. لا يُحبهم الله؛[٨]

٣٥. لا يُهديهم الله؛[٩]

٣٦. بئس مأواهم ومثواهم؛[١٠]

٣٧. يُخزيهم الله؛[١١]

٣٨. يجب الإعراض عنهم في الدنيا؛[١٢]

٣٩. عليهم لعنة الله؛[١٣]

٤٠. الخاسرون الحقيقيون؛[١٤]

٤١. تُحيط بهم نار جهنم؛[١٥]

---

١. سورة الأنعام، الآية ٢١
٢. المصدر السابق، الآية ٩٣
٣. سورة العنكبوت، الآية ١٤
٤. سورة سبأ، الآية ٣١.
٥. سورة الشورى، الآية ٨.
٦. سورة النساء، الآية ٩٧؛ سورة النحل، الآية ٢٨.
٧. سورة البقرة، الآية ١٢٤.
٨. سورة آل عمران، الآية ٥٧.
٩. المصدر السابق، الآية ٨٦.
١٠. المصدر السابق، الآية ١٥١.
١١. المصدر السابق، الآية ١٩٢.
١٢. سورة الأنعام، الآية ٦٨.
١٣. سورة الأعراف، الآية ٤٤.
١٤. سورة الإسراء، الآية ٨٢.
١٥. سورة الكهف، الآية ٢٩.

٤٢. لا ينجون من جهنم؛[١]

٤٣. يكنون عداء طويلا ومعمقا للحق؛[٢]

٤٤. سوء العاقبة؛[٣]

٤٥. يُقطع دابرهم؛[٤]

٤٦. يُعذبون بالزقوم؛[٥]

٤٧. في عذاب دائم؛[٦]

٤٨. خالدون في النار؛[٧]

وتعتبر زيارة «عاشوراء» المقدسة إن الأمة التي أسست أساس الظلم هي ملعونة ومطرودة من رحمة الله، وكما يلاحظ فان معيار تمييز الظلم عن العدل والحق عن الباطل، هو مدى القرب أو البعد عن أهل البيت، عليهم السلام. بدليل أن أهل البيت، هم أهل الحق وناشر الحق ورسول الحق وحجة الحق والإمام المبين في الدنيا والآخرة لجميع مخلوقات الله الملكية والملكوتية.

وفي «الزيارة الجامعة الكبيرة» يتوجه الزائر إلى الإمام المعصوم من أهل بيت النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول:

«... وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَاِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَميراثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ»؛

---

١. سورة مريم، الآية ٧٢.
٢. سورة الحج، الآية ٥٣.
٣. سورة القصص، الآية ٤٠.
٤. سورة الأنعام، الآية ٤٥.
٥. سورة الصافات، الآية ٦٣.
٦. سورة الشورى، الآية ٤٥.
٧. سورة الحشر، الآية ١٧

فان ابتعد أحد أو شئ عن رحمة الله، فانه سيفنى، ولن يبقى ولن يكون جاهزا للبقاء، لأن الإنقطاع عن رحمة الله، هو بمثابة الإنغماس في مستنقع الفناء.

إن حلول الباطل محل الحق، بمعنى تناقل في جميع الشؤون والمراتب وحتى تناقل التعاريف القابلة للعرض عن العالم والإنسان.

وعندما لا تؤخذ الأسس والمبادئ من المصدر الحقيقي فان الرؤى والتعاريف المزورة حول كل شئ وكل شخص، تستحدث في الحياة الفردية والإجتماعية للناس (في مجال التوجهات والممارسات) إنحرافا في مسار حركتها، وتحول مجالا ثقافيا وحضاريا كبيرا إلى مجال آخر وتتسبب لقرون متتالية بعمل ظالم. وفي هكذا حالة، فان المستضعفين يصبحون من دون وعي وعلم شركاء في الظلم وحتى أنهم يساهمون في تثبت العمل والرؤية الظالمتين.

وأليس أن المسلمين أصبحوا اليوم يأخذون كل معاملاتهم وعلاقاتهم الثقافية والحضارية من الغرب من دون أن يتساءلوا عن ماهية الثقافة والحضارة الغربية، ويسايرون الغرب بالكامل بطريقتين إما علمنة الدين أو أسلمة الثقافة والحضارة الغربية وحتى أنهم يعتزون بذلك أيضا.

إن هذه «الزيارات» تعلمنا كيف نتعرف بداية على «مبادئ وأسس» كل ما يبدو ظالما وجائرا، فنتبرأ منه ونعمل من خلال الرجوع إلى المصادر الحقيقية والأسس الخاصة، لترسيخ دعائم البناء العادل.

٢. تبيان إستراتيجية الظالم

إن من الضروي معرفة المبادئ والأسس في كل عصر كما أن كل مجال ثقافي وحضاري، يستند بالضرورة إلى مبادئه وأسسه الخاصة به. إن جميع مصاديق الباطل، تلتقى في النهاية عند نقطة واحدة، بحيث أن مصدر ونشأة كل الظلم والشرك والنفاق يعودان إلى إبليس اللعين.

وفي الظروف والمنعطفات التاريخية المهمة، تظهر المعاني والمفاهيم الموحدة عن الحق أو الباطل، في صور وهيئات مختلفة، بحيث ظهرت إستراتيجية ثابتة مبنية على اللهاث وراء السلطة والهيمنة وقمع المظلومين والمضطهدين والمستضعفين في مختلف الظروف التاريخية وأصبحت مصدر وأساس العمل الظالم.

وفي تعريف بسيط للغاية، فان الإستراتيجية هي قناة بسط الرؤية في الساحة والعمل الميدانيين.

ففي السابق، كانت الإستراتيجية تعرف على أنها فن وعلم توظيف كافة الإمكانات لتحقيق الأهداف العسكرية في ساحة المعركة، لكن هذا المفهوم تجاوز اليوم حدود العمل العسكري وأصبح في معنى ومفهوم أوسع، بمثابة فن وعلم توظيف وتسخير السلطة السياسية والإقتصادية والعسكرية والثقافية لأمة ما أثناء الحرب أو السلم من أجل توفير الحد الأقصى من الإسناد والدعم للسياسات الوطنية وزيادة إحتمال بلوغ النتائج المنشودة لكسب الحد الأقصى من النصر والحد الأدنى من الهزيمة.

ففي عام ٦١ للهجرة، كانت إستراتيجية الظالم، وتبعا لمبادئه وأسسه الفكرية الظالمة مبنية على دفع أهل البيت، عليهم السلام، عن الموقع والمقام والمراتب التي رتبهم الله تعالى فيها وبينّها عن طريق نبي الرحمة، صلى الله عليه وآله وسلم. ونقرأ في هذه الزيارة الحمراء:

«... وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَأَزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الّتِي رَتَّبَكُمُ اللهُ فِيها»؛

نعم، لقد كان هدف الظالمين هو عزل أهل البيت، عليهم السلام، عن مقام الولاية والخلافة، ذلك المقام الذي جعله الله تعالى وكان النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، مكلفا بتبليغه في كل سنوات الحضور في قضية الغدير وذكرّ به المسلمين في آخر ساعة قبل الرحيل.

إن السؤال عن استراتيجية العدو، يشكل أول واجب لأي قائد وأي مدير وأي فرد يتقلد منصبا إداريا مهما في العلاقات والتعاملات بين الناس.

وكل رئيس بلدية وعمدة مدينة يجب أن يسأل نفسه عن مبادئ وأسس بناء المدن الحديثة، كما أن أي معمار يجب أن يكون ملما بالمبادئ والأسس النظرية التي تسود المنظومة المقبولة في علم وفن بناء المنازل. وليس الإنسان وحده الذي يزيل ويبدد الحق ويهمش أهل الحق. بل أن حصيلة صنيع الإنسان أي المدينة الحديثة وبناء المدن الحديثة وحتى الأزياء والملابس في هيئتها المادية الخاصة، تتعرض لمقام وشأن أهل الحق والحقيقة.

ومن يملك أن يزعم بان إمام الحق سيقبل في عصر الظهور وزمن تشكيل الدولة الكريمة، أساس بناء المدن والعمارة الحديثة ويؤيد كل ذلك؟!

ويمكن بغاية البساطة معرفة أي بناء ارتفع يهدر حقوق الجمهور والحدود الإلهية المقبولة؟

وإذا ما وفر بناء ما إمكانية ان يتسلط الغرباء على منزل وحياة ومحارم الناس، فان ذلك البناء يعد ظلما في حد ذاته وهو حصيلة عمل معمار ظالم، حتى وإن كان المعمار قد شيد البناء لبنة فوق لبنة بوضوء وذكر وخشوع.

إن من يعتقد بان مجموعة الموضوعات العقائدية منعزلة عن المجال الحضاري والتعامل والعلاقات، فانه يكون قد ارتكب ظلما، إن من يعمل كمعمار وبناء وخياط وسياسي وقاض و... من دون أن يستفسر عن مبادئ وأسس كل من هذه المجالات والتخصصات، ومن دون تحديد ومعرفة استراتيجيات الكفار والمشركين في تلك المجالات والتخصصات، فانه يكون قد أقحم كل عُدة وعِدة المسلمين في ميدان العمل بما يتطابق مع رغبات وتمنيات الظالمين، حتى وان أقام مجالس الذكر وأدى الصلوات جماعة وقرأ «زيارة عاشوراء» وزار كربلاء المقدسة و....

إن بني أمية كانوا في الأساس النظري والتطبيقي مرتبطين ببني اسرائيل. لذلك فانهم قبلوا بمهمة عزل بني إسماعيل وأهل بيت النبي الأكرم(ص) عن المقام والمرتبة الإلهية وأظهروا ذلك في كربلاء. إن استراتيجية بني أمية كانت متمثلة في تهديم صرح الدين وعزل آل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم والعودة إلى عصر الجاهلية وكانو في «عاشوراء» بصدد تحقيق ذلك بكل ما أوتوا من قوة.

٣. تبيان العمل الظالم (التكتيكات)

يمكن خلال تبيان نطاق التولي والتبري تحديد إمتداد أي من الموضوعات. ففي المرتبة الأولى، هناك المبادئ النظرية والفكرية وهي تشكل سندا وتأييدا للإستراتيجيات، بحيث أن الإستراتيجية تؤيد وتثبت بدورها العمل الميداني.

إن العمل في الميدان والحشد في الميدان ما هو إلا حشد القوات وإدخال العُدة والعِدة لمواجهة الخصم الإفتراضي، وهذا يستند بدوره على الإستراتيجية، مثلما أن البنّاء والحداد والصباغ يشيدون ويبنون جدران وهيكل بناء ما وفقا لخطة وخريطة المعمار ويستخدمون مواد البناء لهذا الغرض.

وفي واقعة كربلاء المؤلمة، فان استراتيجية عزل وإزاحة آل محمّد(ص) عن مرتبتهم ومقامهم الرباني تجسد في العمل الظالم واقتراف أكبر مصيبة ومذبحة مروعة ضد أهل البيت، عليهم السلام.

ويتم في أي موقع، انتخاب ساحة العمل وحتى الأدوات والمعدات بما يتناسب مع الظروف التاريخية ما يسهم في تحقيق الاستراتيجيات.

واستراتيجية بني أمية هذه، طبقت في عصر بني العباس، من خلال تكتيك الموت الصامت أي تسميم الإمام علي بن موسى الرضا، عليه‌السلام. وسنوات قبل واقعة كربلاء قاموا بعزل أمير المؤمنين، عليه‌السلام من أجل تطبيق استراتيجية العزل والحذف.

وهذا الأمر سيكون جاريا وساريا على الأرض طالما كانت هناك مواجهة بين الحق والباطل.

وعلى كل أمراء وقادة جبهة الحق في الميدان، معرفة وتحديد استراتيجية الخصم والإطلاع على تكتيكاته.

إن «زيارة عاشوراء» وبعد ذلك الحوار والتحذير حول الموضوعين المذكورين، تنبه المؤمنين إلى تكتيكات الخصم وأسلوب عمله. ففي الدراسات الإستراتيجية، يحتل العمل في الميدان، المرتبة والمقام الثالث. ونقرأ في زيارة عاشوراء:

«يَا أَبَا عبدالله لَقَدْ عَظُمَتِ الرّزِيَّةُ وَجَلّتْ وَعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ بِکَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ»؛

إن الجريمة النكراء التي ارتكبها الظالم في ساحة كربلاء تمثلت في القيام بمذبحة رهيبة ومروعة ضد وصيّ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وجميع أفراد أسرته وأصحابه.

ولأن واقعة كربلاء كانت دامية (والتي تحمل في طياتها تشهيرا وتعريفا بمدى العداء وقساوة قلب وخصومة العدو ـ الشيطان وأعوانه وأنصاره-) فانها تنبه المؤمنين إلى أنهم يواجهون خصما لا يتراجع عن استراتيجيته إطلاقا وأن السذج والبسطاء هم وحدهم الذين ينخدعون به.

٤. العامل الميداني للظلم (الجنود)

وهل يمكن إعتبار التولي والتبري واجبا في فروع الدين، لكن تحجيم ميدانهما. إن التولي والتبري بشان الإمام الحسين، عليه‌السلام، يغطيان جميع الميادين

والساحات بما في ذلك التبري من عمال ميدان الهجوم على أهل بيت رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، مع ذكر أسمائهم ونسبهم لا تبيان العموميات.

إن التبيان النوعي والعام يولد الشبهات على الدوام، ويربك ويخلط الحدود ويؤدي الى الإختلاط العملي والنظري بين الحق والباطل.

«وَلَعَنَ اللهُ آلَ زِياد وَآلَ مَرْوانَ، وَلَعَنَ اللهُ بَنـى اُمَيَّـةَ قاطِبَـةً، وَلَعَـنَ اللهُ ابْـنَ مَرْجانَةَ، وَلَعَنَ اللهُ عُمَرَ بْنَ سَعْد، وَلَعَنَ اللهُ شِمْراً»؛

إن الأشخاص الذين حملوا في واقعة عاشوراء السيف والخنجر والرمح والسنان لمواجهة أهل الحق، كانوا عمالا مستظهرين بالقادة الجالسين في «الكوفة» و «الشام» واشهروا سيوفهم على أمل الحصول على حكم الري، لكنهم كانوا يتحملون مسؤولية ما فعلوه وتشملهم بلا ريب لعنة الله ورسوله(ص) وجملة المؤمنين. فان فحصنا ودرسنا الأمر جيدا سنجد أن من أسسوا للظلم وحتى حماتهم يصلون إلى بني‌إسرائيل الحاقدين والعنودين. إن المؤمن يجب أن ينظر بنظرة ثاقبة ومعمقة وأن يفتح كالعقاب، جناحي التبري والتولي بحيث لا يخفى عليه أي شئ وأي مشهد.

إن المنغلق على نفسه والذي ينظر بنظرة محدودة إلى حواليه وإلى الصداقات والعداءات، فانه لن يرى أبعد من قدميه، ومن هنا فانه ينخدع بسهولة وربما يوجه سهام حقده نحو الصديق بدلا من العدو اللدود.

إن أي قائد لن يحقق أهدافه النهائية من خلال الإعتماد على القوى الميدانية. لأن القوات العسكرية تتواجه مع نظيرتها في الميدان. إن المواجهة مع الجاسوس بحاجة إلى قوات مضادة للتجسس. كما أن العوامل الدعائية هي أداة بيد العدو وتتابع الأهداف ذاتها.

ولابد للقادة ان يأخذوا بنظر الإعتبار مستوى من الإقدام بازاء أي مستوى من إقدام الخصم، وأن يخوضوا مواجهة شاملة لكي لا تفلت عندهم كل المواقع الناعمة والخشنة المعرضة للضربة والضرر.

إن دراساتنا في وقت السلم والحرب وفي جميع حالات الحياة، يجب أن تغطي جميع الأوجه الخفية والجلية للحياة الفردية والإجتماعية. وفي عصرنا لم يعد شمر ويزيد وعمر بن سعد ممن كانوا عوامل الميدان في واقعة كربلاء المؤلمة موجودين وليس هناك سيف وخنجر ورمح. وإن كان الإفتراض منصب على الواقعة والأدوات التاريخية، فانه يمكن اعتبار أن الواقعة قد انتهت وأصبحت في ذمة التاريخ وأن الزيارة هي من أجل كسب الثواب وتلبية الحاجات. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه: إذن ما دور عبارات مثل **«ونُصرَتي لَكُم مُعَدة؟!**

وتبعا للمنظومة الفكرية والعقائدية والنهج المحدد، فان الزائر الذي يمر بالصورة التاريخية لواقعة عاشوراء، يعرب عن سخطه ولعنته على العوامل التي ساهمت في واقعة عام ٦١ للهجرة ويدرس ببصيرة تامة ومن منظار واقعة عاشوراء، زمانه. إنه يعرف بان الأوجه التاريخية في تغير دائم، لكن باطن الأمور والأشخاص في أي جبهة كانوا، ثابت لا يتغير، بحيث أنه يمكن تحديد مصاديق الحق والباطل في أي دورة وحقبة.

وإن افترضنا الحياة، ساحة حرب واعتبرنا أن المؤمنين والحياة الإيمانية وصولا إلى الدولة الكريمة للإمام المبين، يتعرضون لهجوم شامل من جنود الشيطان من الجن والإنس، فان «زيارة عاشوراء» تشكل درسا للحياة في عصر الغيبة.

وهذا الكلام لا يعني النزعة إلى الحرب أو تأييدها. فمنذ بدء الخليقة، سخر العدو اللدود كل قواه لمحاربة الإنسان و الأديان و إزالة «الحياة الإيمانية» عن ربوع الأرض. و يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بصراحة:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا»؛[١]

ولقرون يعكف بنواسرائيل بوصفهم الذراع التنفيذية للشيطان على تنظيم و تسليح أنفسهم لاختراق قلعة والمؤمنين و القضاء عليهم. لذلك و كما يقول الاستراتيجي الصيني القديم «سون وو» أن هذا الموضوع يعد أحد المبادئ في القضايا العسكرية و هو:

لا يجب إفتراض أن العدو لا يأتي، بل يجب التفكير بسرعة الدخول في مواجهة معه... كما لايجب الظن بان العدو لا يشن هجوما، بل يجب تحصين أنفسنا.[٢]

٥. القوى الداعمة والمساندة (اللوجستيات)

إن تجاهل القوى الداعمية والمساندة للعدو، يؤدي بقوى الميدان إلى التقاط أنفاسها وتجديد عافيتها والعودة مجددا إلى الميدان. إن قطع خطوط الإمداد والمواصلات بين قوى الميدان والقوى اللوجستية، مهمة بقدر أهمية حفظ خطوط المواصلات بين القوى الصديقة وحماتها خلف الكواليس.

---

١. سورة الإسراء، الآية ٥٣.
٢. سون وو، منظومة القتال، ترجمة سيدجواد حسيني، هلال للنشر.

إن نطاق ومدى موضوع التولي والتبري في أي ساحة نضال، يصل إلى هذا المستوى أيضا. إن ما يُبقي على الجنود والمقاتلين في ساحة القتال، هو القوى الداعمة والسلسلة التي تساهم في تلبية الإحتياجات.

ومفردة اللوجستية وما يعرف بفن السَّوْقيات، يعود أصلها إلى اللغة الإغريقية القديمة و تأتي من كلمة لوجوس وتعني «نسبة، حساب، سبب». واستخدمت للدلالة على حاجة الجيش إلى التزود بالإمدادات خلال تحركه من قواعده إلى المواقع الأمامية.

وقد أبدى القادة العسكريون إهتماما خاصا بهذا الجزء من الجيش في أي معركة وقتال على امتداد التاريخ. وفي القرن الثامن عشر للميلاد، أدخل الفرنسيون رسميا هذه المفردة إلى مصطلحاتهم العسكرية.

و قدم المفكر والكاتب الفرنسي أنطوان هنري جو مينى تعريفا مناسبا ل «اللوجستية» وذلك للمرة الاولى في كتابه «خلاصة فن الحرب» عام ١٨٣٨ وكالتالي:

إن اللوجستية هى عبارة عن فن تحرك الجيوش.

ولاحقا إستخدم البريطانيون هذه المفردة في شؤون إسناد وحداتهم العسكرية. وأخيرا استخدمت كلمة اللوجستية خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية في القوات والمؤسسات العسكرية لمعظم بلدان العالم ضمن معان ومجالات أداء مختلفة.

إن الإدارة اللوجستية هي جزء من SCM والتي تتولى بشكل رئيسي التخطيط والتنفيذ ومراقبة التدفق المباشر والمعاكس للمواد والسلع والطاقة والمعلومات والموارد الأخرى وتخزينها من منطقة الإنتاج إلى منطقة الإستهلاك.

إن اللوجستية لها مساهمات فعالة على جميع مستويات التخطيط والتنفيذ (العسكري والمدني).[١]

والآن من يستطيع إنكار دور القوات وعوامل الدعم والإسناد واللوجستية لجيش «الشام» والذين تواجدوا في ساحة كربلاء؟

وقد بذل إبن زياد قصارى جهده لتسوية المشكلة عن طريق الحرب. وبعد قتله مسلم وهاني وبث الرعب والخوف بين أهل الكوفة، أصدر أمرا بجمع الجنود من أجل تشكيل الجيش في «معسكر النخيلة».[٢]

وفي البداية، وضعت جائزة وراتب ضعفين من بيت المال لمن كان يلتحق بجيش الكوفة كما كان يعاقب من لم يلتحق بهذا الجيش. وذكر أن رجلا قرويا كان قد جاء إلى الكوفة لأخذ ميراثه، فاعتقلوه وقطعوا رأسه لأنه لم يلتحق بجيش الكوفة.[٣]

وذكرت المصادر أن عديد هذا الجيش كان يتراوح بين ١٨ ألف شخص[٤] و ٣٥ ألف شخص.[٥]

وقد توافدت الجيوش وزعماء القبائل على كربلاء لكن في يوم عاشوراء دخل جيش الكوفة إلى الميدان بهذه التشكيلة:

١. عمر بن سعد، قائد الجيش ومعه ٤ آلاف شخص؛

٢. شمر بن ذي الجوشن، في وسط الجيش ومعه ٤ آلاف شخص في الجناح الأيسر؛

٣. الحجار بين أجبر، ومعه ٦ آلاف شخص في الجناح الأيمن؛

---

١. مقتبس من موقع www.controliran.com.
٢. وكان هذا المعسكر قد أقامه الإمام علي، عليه‌السلام، في حرب صفين.
٣. أنساب الأشراف وأخبار الطوال.
٤. الفتوح.
٥. الطبري والمسعودي.

٤. حصين بن نمير، وهو الشخص الذي كان الحرّ بن يزيد الرياحي تحت إمرته، ومعه ٤ آلاف شخص، وكانت مهمته سد الطريق على أهالي «الغاضرية»؛

٥. عمر بن الحجاج (من قبيلة هاني) ومعه خمسمائة شخص ومهمته قطع نهر الفرات.

وما عدا هؤلاء كان هناك قادة حاضرين في الميدان ومع كل منهم بين خمسمائة إلى ثلاثة آلاف شخص. وكان سلاح البعض الحجارة والمقلاع.

وذكرت المصادر ان عدد أفراد الإمام الحسين، عليه‌السلام، كان مائة وعشرة أشخاص كحد أقصى.

وورد في كتاب «المناقب» لإبن شهر اشوب[١] أن عدد جيش الكوفة كان خمسة وثلاثين ألف شخص، فيما ذكر «شرح الشافية»[٢] خمسين ألف شخص و«بغية النبلاء»[٣] ثمانين ألف شخص.

وإن افترضنا أن عدد أفراد جيش الكوفة في صحراء كربلاء كان يبلغ خمسة وثلاثين ألف شخص كحد أدنى، يجب التساؤل: من كان يمد ويسند ويرفد ويغذي هذا العدد من الأفراد، ومن كان يجهز الماء والعليق لجيادهم؟

ومن أين كان يتم توفير وتجهيز السروج والألجمة والنعل للجياد؟

وباي نظام كان يتم توفير وتوزيع الماء والخبز والطعام على أفراد الجيش؟

... وكل هذا يجب دراسته في قسم اللوجستيات.

---

١. إبن شهر اشوب، المناقب، ج ٤، ص ٩٨.
٢. أبي فراس، ج ١، ص ٩٣.
٣. نقلاً عن مقتل أبي مخنف.

وبما أن هذه القوات الملتحقة بالجيش المعادي للإمام الحسين، عليه‌السلام، لعبت دورا في تطبيق أوامر بني أميه وحماتهم من خلف الكواليس، لذلك فان اللعنة وبراءة المؤمنين منهم، تشملهم في كل مكان.

إن الزائر وعلى افتراض أن «الإمام المبين» حاضر، لكنه محاصر ومكتوف الأيدي، لذلك فانه يراجع هذه المنظومة الفكرية بهدف نصرته ويعكف على معرفة جميع تفاصيل ومصاديق وأوجه الحق والباطل في عصره، لكي لا يصب الماء من دون علم ووعي في طاحونة العدو.

أريد أن أقول أنه كما يجب معرفة حسين الزمان، فانه يجب أيضا معرفة يزيد الزمان ـ الظاهر في صورة القرن الحادي والعشرين ـ فضلا عن معرفة الأركان والنظام الجائر للعصر الحاضر، ولهذا السبب أطلقت على هذه الزيارة اسم «المنظومة الفكرية والعقائدية».

إن الزائر وبقدر ما يتواجه مع شمر وعمر بن سعد، يتواجه مع بني أميه أيضا، ويتواجه مع القوات اللوجستية لجيش الشام والكوفة، لأن العوامل الميدانية لم تكن وحدها من قاتلت وحاربت الإمام الحسين، عليه‌السلام. فهذه العوامل ما كانت لتستطيع إرتكاب كل هذه الجرائم من دون القوات اللوجستية والمساندة.

إن «زيارة عاشوراء» تسلط الضوء على كل الصفوف والمستويات، بحيث نقرأ فيها:

«وَلَعَنَ اللهُ الْمُمَهِّدِينَ لَهُمْ بِالتَّمْكِينِ مِنْ قِتالِكُمْ»؛

وقد حذر الإمام السابع، الإمام موسى الكاظم، عليه‌السلام، أصحابه من التعاون مع الحاكم الظالم، ولم يسمح لهم حتى بالإشتراك في ظلمه بقدر بري قلم الظالم.

وقال الإمام السابع، عليه‌السلام لصفوان بن همدان وهو من أصحابه، ما مضمونه: يا صفوان إنك طيب من جميع الجهات عدا أنك تؤجر جمالك لهارون، فقال: إني اؤجرها لسفر الحج ولا أذهب مع الجمال، قال: وألا تحب باطنا أن يبقى هارون على قيد الحياة حتى يعود من مكة لكي لا تباد جمالك وأن تحصل على أجرتك، قال: نعم، قال: إن من يحب أن يبقى الظالمون على قيد الحياة، فانه منهم».[١]

إن المساند والممهد والداعم للحاكم الظالم حتى في تأدية مناسك الحج يعد من الظالمين من وجهة النظام النظري للمعصومين، عليهم السلام.

ويتعرف الزائر في «زيارة عاشوراء» على الطبقات المتداخلة للعمل الجائر ويتعلم أنه لا بد له من التبري من الطبقات الخفية والجلية، الصغيرة والكبيرة، المؤثرة والمقصرة في «واقعة عاشوراء».

«وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً اَسْرَجَتْ وَاَلْجَمَتْ وَتَنَقَّبَتْ لِقِتالِکَ»؛

إن هذه الدراسة التي تتناول طبقة طبقة، لا تقتصر على فسطاط الظالم. وتحصل أيضا في فسطاط الصديق والإمام العادل، ولا تعلمنا أن نتجه نحو العامل الميداني فقط والتبري منه. فهذا التبري وإبداء السخط والكراهية يشمل أكثر الطبقات خفاء إلى أكثرها بروزا ومن أكبر عامل مؤثر إلى أصغر عامل، حتى الذين يساهمون في تجهيز سروج الجياد والمرافقين والمبايعين والمشايعين وأولئك الذين يحملون رضى عن الظالم في قلوبهم وإن لم يتواجدوا في الميدان.

---

١. وسائل، ج ١٢، صص ١٢٠ ـ ١٣٠.

٦. القوى المعززة للمعنويات والراضية

وقلما يتم التطرق إلى هذه المجموعة عادة أو أن تجري دراسات بشأنها، بينما تضطلع بدور في الواقعة.

وفي الأزمنة الغابرة، كان يتم إستخدام الشعراء والطبالين والعازفين والراقصين ونافخي البوق وقارعي الطبول للحد من تراجع معنويات المقاتلين وكذلك تقويض معنويات قوات العدو. كما أن القضاة والمتحدثين والخطباء الذين كانوا يستحضرون التبريرات كانوا يضطلعون بدور لإضفاء الشرعية على ممارسات الحكام. وقلما كان قائد حربي يحقق النصر الساحق في القتال من دون وجود جهاز دعائي وإعلامي مؤثر يعمل على تعزيز المعنويات. وهذا الجهاز الدعائي هو الذي يحول دون انهيار دولة من الداخل في زمن الحرب.

إن وسائل الإعلام تعد همزة الوصل وأداة الهيمنة على الأفكار والإرادات ومشاعر الجمهور القاطن في المدن والقرى ومقاتلي الميدان. وفي العصر الحاضر، فان هذه الوسائل الحديثة، تحولت إلى أداة مهمة لتنفيذ العمليات النفسية للقوى السلطوية والحكومات من جهة، وإلى أداة لمراقبة قوات الطرف الآخر وإضعافها وتضليلها من جهة أخرى. ويطلق اليوم عنوان **«الحرب الإعلامية»** على فن الإستخدام الأمثل للإعلام لتقويض البلد المستهدف والإفادة من طاقات وإمكانات الإعلام سواء المرئي والمسموع والمقروء واتباع أساليب الدعاية والعمليات النفسية لكسب المنافع وتحقيق المصالح.

ويشتد إستخدام الحرب الدعائية والإعلامية في زمن المواجهات العسكرية. إن قدرة هذه الحرب على التخريب والدمار كبيرة لدرجة أن مواطني الجناح الآخر لا ينتبهون إلى الأثر الهائل لهذه الحرب على أجوائهم النفسية وجنودهم.

وكان معاوية قد شن حربا دعائية ضد الإمام علي، عليه‌السلام، من خلال توظيف رجال مثل عمرو بن العاص لدرجة أن سكان مدينة الكوفة أي مقر الإمام علي، عليه‌السلام، أصبحوا يشككون بأحقية الإمام وحتى كونه يصلي أم لا يصلي، والشئ نفسه اتبع ضد الإمام الحسن، عليه‌السلام.

ونقرأ في «زيارة عاشوراء» المقدسة:

«**اللهُمَّ الْعَنِ العِصابَةَ الّتِی جاهَدَتِ الْحُسَیْنَ علیه‌السلام وَشایَعَتْ وَبایَعَتْ وَتابَعَتْ عَلَی قَتْلِهِ**»؛

ويذكّر الزائر بوجود قوى خفية لكنها شريكة في الظلم الذي مورس ضد الإمام الحسين، عليه‌السلام. كما جاء في «زيارة وارث» التي تقرأ في جميع المشاهد لاسيما مشهد الحسين بن علي، عليهما السلام،:

«**وَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذلِکَ فَرَضِیَتْ بِهِ، یا مَوْلایَ**»؛

وكما أسلفت فان هذه التراتيبية مشهودة في «زيارة عاشوراء»:

«**السَّلام عَلَی الحُسَیْن، وَعَلَی عَلِیِّ بْنِ الحُسَیْنِ، وَعَلَی أوْلادِ الحُسَیْنِ، وَعَلَی أصْحابِ الحُسَین**»؛

ومن الضروري أن يتبرأ الزائر من التراتيبية الشريكة في الظلم ويتولى لتراتيبية الجبهة الأخرى.

الفصل الثالث

- الخريطة الإلهية العامة

حكمة التاريخ والخريطة الإلهية العامة

إن فلسفة التاريخ، هو فرع من الفلسفة. إن فيلسوف التاريخ يسعى في ضوء استخدامه للمفاهيم والأساليب والتحليلات الفلسفية، لدراسة الوقائع والأحداث الماضية. إنه يسعى ليضفي معنى ومغزى فلسفيا ومنطقيا على مجمل تاريخ البشرية واكتشاف قانون خاص لتحديد مسار حركة البشرية وتطوراتها وتحولاتها المهمة ليجعلها أساسا لدراساته وتحليلاته.

ويمكن مشاهدة نشأة فلسفة التاريخ في النظريات الدورية للعالم القديم وفي المعتقد اليهودي المسيحي في باب الخلقة والهبوط والفلاح، وفي «الكتب المقدسة» وشرحها وبسطها في أعمال بعض المفكرين المسيحيين للقرون الوسطى مثل «مدينة الله» للقديس أوغسطين وفي العصر الحديث مثل «مدخل على تاريخ العالم» للأسقف بوسوية، لكن أوج إزدهار هذه الفلسفة، حدث في أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد وفي أعمال مفكرين وفلاسفة كبار بمن فيهم هرودر وكونت وهيغل وفيكو وماركس.

وأول فيلسوف بارز حاول بالتحديد إيجاد خلاصة عن المشروع العام لفلسفة تاريخ جميع العالم، هو إمانويل كونت. وبعده حاول هيغل إضفاء معنى فلسفيا

ومنطقيا على مجمل التاريخ. وقد إستعان هؤلاء بالتعاليم الفلسفية لتقديم صورة منطقية ومعقولة عن مآل التاريخ ومجئ ورحيل الأمم.

وفي مقابل هذا الفريق، هناك فكرة حكمة التاريخ التي تعمل على سبر المبادئ والأسس الفكرية والدينية والوحيانية والكتب السماوية وضرورة معرفة السنن الجارية والحوادث والوقائع التي شهدتها الأمم للكشف عن غاية ووجهة سير ورحلة الإنسان في التاريخ.

ويمكن من خلال تكريم كل مجاهدات المفكرين في كشف تفاصيل وتعقيدات الإنطباعات الحكمية والعقلية ومع مراجعة الخلقة الحكيمة للوجود (من قبل الخالق العليم الحكيم) فهم أن ثمة قاعدة وحكمة تسري على مجمل التقلبات، وتنفي أي تصور للإضطراب والإرتباك وغياب المصير والعاقبة في مسألة الخلقة ورحلة الإنسان في الكون، بحيث يقول الله سبحانه وتعالى بصراحة:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ»؛[1]

كما قال تعالى:

«... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَکَ فَقِنَا عَذَابَ النّارِ»؛[2]

إن هذه الخلقة والأفعال الحكيمة للباري عزّ وجلّ هي التي أزالت إمكانية ظهور وبروز الخلل والثغرات والعيب والنقصان في مجمل منظومة الخليقة وتشريع الأوامر والنواهي والأحكام وحتى الثواب والعقاب، لدرجة أن أحدا لا يستطيع إنتقاد كل ذلك.

«لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»؛

---

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.
٢. سورة آل عمران، الآية ١٩١.

إن هذه الحكمة جارية وسارية في جزء الكون وكله منذ الأزل وإلى الأبد في جميع المجالات الخفية والجلية بما في ذلك مصير ونهاية رحلة الإنسان الطويلة في ربوع الأرض التي تظهر فيها جملة آيات الآفاق والأنفس لله الحكيم بصورة جلية وواضحة.

إن ما يُشاهد من خلل وثغرة وفساد في السماء والأرض وعلى امتداد القرون والألفيات وفي التعاملات والعلاقات بين الناس، هو حصيلة عمل الإنسان وأفعاله وردات فعله على أثر الحوادث والهواجس، إذ يقول الله تعالى:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»؛[١]

إن الآيات القرآنية تعزو منشأ الفساد إلى عمل الإنسان ما كسبت يداه. ويقول سبحانه وتعالى مباشرة في الآية اللاحقة:

«قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ»؛[٢]

ويتأكد هذا الإنطباع في التفسير المقدم حول الآية المباركة :«**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**»[٣]، اذ يقول سبحانه وتعالى:

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»؛

---

١. سورة الروم، الآية ٤١.
٢. السابق، الآية ٤٢.
٣. السابق، الآية ٣٠.

ففي حديث معتبر يرويه المحدث الكبير الشيخ الكليني في أصول الكافي، وهو ما نقله عن هشام بن سالم، قال: سألت الإمام الصادق (عليه‌السلام): ما المراد من قوله تعالى: فطرت الله التي فطر الناس عليها... فقال «هي التوحيد».[١]

وبالأحرى فان جميع أبناء البشرية وفي طبيعتهم الأولية الأصيلة وقبل أن يتشابكوا مع التاريخ وفي ظرف الزمان والمكان، يولدون على الفطرة السليمة ودين التوحيد إلى ان يكتسبوا هويتهم على مر الزمان وخلال المواجهة مع سنن الكون وفي اختبار عسير وبإرادة واختيار.

وفي «تفسير القمي» عن سنده عن هيثم الرماني عن الإمام الرضا، عليه‌السلام، عن أبيه عن جده... روى أن عليه‌السلام قال في ذيل الآية «**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**»، إن تلك الفطرة هي «لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين ولي الله».[٢] والتوحيد إلى هنا.

ومعنى أنه عليه‌السلام قال إن الفطرة هي عبارة عن الشهادات الثلاث هذه، هو أن كل إنسان مجبول على الإعتراف بالله وأنه لا شريك له، لانه يكتشف بوجدانه أنه بحاجة إلى أسباب وأن هذه الأسباب هي الأخرى بحاجة إلى سبب وهو التوحيد، وكذلك مجبول على الإعتراف بالنبوة لانه يشعر بوجدانه بانه ناقص وهذا النقص يجعله بحاجة إلى دين ليكمله وهذه هي النبوة، وكذلك مجبول على الولاية والإعتراف بها، لانه يشعر بوجدانه إنه إن أراد تنظيم عمله على أساس الدين، فانه لا يستطيع ذلك إلا في ظل الولاية وأن فاتح هذه الولاية في الإسلام هو علي بن أبي طالب، عليه‌السلام.

---

١. الكليني، محمّدبن يعقوب، أصول الكافي، باب فطرة الخلق على التوحيد، ج ٢، ح ٤.
٢. بحارالأنوار، ج ٣، ص ٢٧٧.

وثمة رواية أخرى بهذا الخصوص في تفسير الآية **«كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً»** والمراد من الإنسان الفطري في هذه الرواية هو الإنسان البسيط الذي كان يعيش على الفطرة البسيطة التي فطره الله عليها. تلك الفطرة البسيطة التي لم تتدنس بالأوهام الفكرية والأهواء النفسانية ومعلوم أن فطرة سليمة كهذه كانت جاهزة لتقبل أصول العقائد وعموميات الشرائع الإلهية، بحيث يمكن القول بان جهوزيتها كانت قريبة إلى الفعلية، لان كل أفعال هكذا إنسان كنت تتم بتحريك من فطرته وخصوصية خلقه... وجاء في تفسير «الميزان»:

إن الإنسان لا يولد إلا على الفطرة، وإن أب الطفل وأمه يجعلانه يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا، مثلما أن نتيجة وولد كل حيوان كامل، وهل ترون أى نقص فيه؟».[١]

كما ورد في هذا التفسير بان ثمة علاقة مباشرة بين أفعال الناس وحوادث العالم.

إن ما يمسك بخناق الإنسان هو نتيجة عمله وفعله. وعندما يكلف الله تعالى في آية كريمة، رسوله ليأمر الناس بان **«سيروا في الأرض»**[٢] هو أن يرى الناس عاقبة ونهاية الأمم السالفة، عسى أن يعتبروا ويعودوا إلى التوحيد.

ويقول الله تعالى في سورة الشورى، الآية ٣٠:

«وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ»؛

ونقل عن أمير المؤمنين، عليه‌السلام، ما مضمونه أن ابتعدوا عن الذنوب والمعاصي، لان أي بلاء ونقص في الرزق والمال حتى خدش في الجسم والتعثر والمصيبة، سببه الذنوب.

---

١. تفسير وقول في معنى الفطرة، تفسيرالميزان.
٢. سورة الروم، الآية ٤٢.

ورغم أن سننا أخرى دخيلة في وقوع الأحداث المرة والحلوة قابلة للدراسة والنقاش، لكن الإنتباه إلى الآيات القرآنية والروايات وكل ما حدث في حياة الأمم على امتداد التاريخ، يظهر بان الإنسان يلمس المردود النهائي لأعماله وأفعاله وردود أفعاله.

«أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ».

وعلى الرغم من أن التعقيدات البالغة للحياة الثقافية والحضارية للأمم والشعوب في العالم هي حصيلة الأفعال وردود الأفعال الفردية والجماعية للناس وعهودهم الجماعية وهي ذات مصدر ومنشأ رحماني أو شيطاني، لكن كل هذا ليس خارجا عن نطاق التقدير الإلهي وأن الإنسان يلمس حسب السنن الجارية في الكون، نتائج كل أفعاله.

وتعويلا على هذه المستندات الوحيانية وعلى الرغم من تصور ومحاولات فلاسفة التاريخ (كل اولئك الذين يسعون لكشف القوانين التي تحكم مجئ ورحيل الأمم) فان التغيرات والتبدلات التي تطرأ على الأوجه الثقافية والحضارية والعلاقات الفردية والجماعية للناس، هي نتاج وحصيلة مجمل «الحوادث والهواجس» التي يصاب بها الإنسان من خلال إبتعاده تارة وإنكاره تارة أخرى للسنن والقوانين والأحكام السماوية والإلهية ويرتكبها خلافا للإرادة الإلهية.

ومع ذلك فان الله تعالى، لم يترك الإنسان لوحده في الحوادث والهواجس.

إن التخلي عن الإنسان يعني أن يقع الإنسان بصورة كاملة وتامة في براثن إبليس اللعين وجنوده، وهو الذي لا يبغي سوى الدمار والفساد في الأرض والقتل وإغواء أبناء آدم.

لذلك فان ثلاثة تيارات كثلاثة أنهر، سارت وجرت بمحاذاة أحدها الآخر على امتداد التاريخ، أحدها أهل الحق والمؤمنون بالتوحيد والنبوة والولاية، والثاني أهل الباطل والمنكرون والحاقدون والكافرون بالمعتقدات الوحيانية والثالث أهل النفاق الذين يتأرجحون بين الحق والباطل ويميلون إلى هذه الجهة تارة وإلى تلك الجهة تارة أخرى.

إن التيار الأول الصافي والشفاف، هو مؤازر وداعم ومحافظ للمستضعفين والمؤمنين، والتيار الثاني أي أهل الضلال والكفر يتحرك دائما كعامل إبليس في الظلمة البحتة ويسير بتعاسة تامة.

إن العالم والخلق يسيرون في خضم الحوادث والهواجس والأفعال وردود الأفعال على جادة السنن التي لا تتغير والقوانين الثابتة التي هي محل ظهور التقديرات والمقدرات الإلهية وتبعا لحصيلة توجهاتها العامة نحو أي من التيارات الثلاثة أي الإيمان والكفر والنفاق، فانها تتسبب بخلق وتبلور أوجه من المجالات الثقافية والحضارية، الأوجه التي تبرز باطنها النوراني أو الظلماني.

إن حصيلة التوجهات العامة تجاه تيار ما، مؤشر على العهد الجماعي والنشأة العامة للبشرية حول أمر افترضته **وليّها** وتلتف حوله. ففي العصر الحديث، فان التوجهات والعهد الجماعي للجماهير يتمثل في ولاية الطاغوت والنفس الأمارة

الفردية والجماعية وأن حصيلة ونتاج هذه التوجهات هي حسب القوانين والسنن الثابتة للثقافة والحضارة الإلحادية الغربية هي المجال الذين ينطوي على أزمات ثقافية وحضارية معمقة والإبتعاد عن الفطرة الأولية للأمة الواحدة والمؤمنين.

السلسلة المقدسة للهوية الدينية

إن تبيان المنعطفات التي شهدها تاريخ البشرية، يشكل أحد أهم خصائص الزيارات المهمة في المصادر الشيعية.

وعندما نزور أحد أضرحة المعصومين، عليهم السلام، فان الزيارات التي نقرأها تذكرنا وتنبهنا إلى هذه المنعطفات من السلسلة المقدسة لأهل الحق والحقيقة.

إن تناسي الهوية الحقيقية وفقدان هذه **السلسلة المرشدة**، يؤدي إلى إستيلاء الهويات المزورة والمشركة على حياة الإنسان وتيهه في المنعطفات التاريخة المهمة. لذلك فان الأدعية والزيارات تذكر وتنبه مسافري مدينة الحقيقة الى **الهوية الحقيقية** وتلك **السلسلة المقدسة المرشدة**. ومن هنا فان الزيارة، تظهر أرفع درجات أدائها.

إن الإعتزاز الجاهل بالحسب والنسب واللجوء إلى الايديولوجيات المشركة القومية والشوفينية، وبالتالي الإنجذاب إلى المدارس الوضعية، هو نتيجة هذا التناسي والتيه في تقلبات التاريخ، في حين أن عامة الأجيال على مر العصورن بحاجة إلى هذا التذكير والتبيه، وإن تنبهت فانها لن تحيد عن مسار الهوية الحقيقية.

إن هذه الإيديولوجيات تحيل ذهن الإنسان ولسانه إلى الهويات المزورة والمنتمية للحوادث والهواجس وتؤدي إلى الإبتعاد عن الهوية الحقيقية. ولهذا السبب فان معظم الأمم الشرقية والمسلمة التي خضعت لتأثير هذه التيارات الإستعمارية والتنويرية الملحدة، تورطت عند الحدود الجغرافية الترابية ووجدت من خلال الإرتماء في أحضان هذه الإنطباعات أن البديل عن الهوية الحقيقية يكمن في إيديولوجيات مثل «القومية التركية» و «القومية الإيرانية» و«القومية العربية».

إن مؤسسي هكذا إيديولوجيات، هم من المنبهرين بالغرب عموما والمتأثرين بالمدارس السياسية والإجتماعية الأوروبية للقرنين التاسع عشر والعشرين. إنهم ومن خلال إضفاء الأصالة على العرق والدم واللون والجغرافيا الترابية وسائر الأمور الإعتبارية، وجدوا أن علائم التفوق والتميز تكمن في هذا القبيل من الأمور التي حولوها إلى أسلاك شائكة وسياج لعزل الأمم والشعوب ما تسبب في غفلة هذه الأمم عن هويتها الحقيقية.

وعمل المستعمرون على جعل أهالي كل منطقة يلتفون حول إحدى المواصفات العرقية والترابية واللغوية وذلك بهدف بث الفرقة وإيجاد الشرخ بين سكان الشرق الإسلامي ما تسببوا بتفرقة وتشتت سكان الشرق الإسلامي. إن تعزيز النزعة القومية بدد جميع مجالات الإتفاق والإتحاد بين المسلمين المقيمين في هذه المنطقة المهمة من العالم وأدى إلى إندلاع مواجهات بينهم. لذلك فان كلا منهم يعتبر أنه متفوق على غيره ويركز كل اهتمامه وجهده لإخراج الآخر من الساحة وتوسيع نطاقه ومساحته الجغرافية والسياسية والمالية.

فدعاة «القومية الإيرانية» يعتبرون الدين الإسلامي الحنيف، دينا غير إيراني ويوجهون كل الإهانات والإساءات إلى عظماء وكبار رجالات هذا الدين والاداب والسنن الإسلامية، ويفضلون الديانة الزرادشتية التي فقدت كل أوجهها التاريخية وأصبحت منسوخة، على الإسلام.

ويُعتبر المثقفون والماسونيون القوميون والأكاديميون من دعاة العودة إلى الماضي القديم من أنصار وأتباع هذه الفكرة والإيديولوجية.

أما دعاة وأنصار «القومية العربية» فيناصبون العجم العداء ويسمونهم أحيانا بالمجوس. وفي ضوء ذلك أصبح العالم الإسلامي يعاني من الضعف والوهن والهزال بسبب هذه الفرقة والتشرذم الذي يساعد العدو على بلوغ مآربه.

ومع هذه التوضيحات يمكن أن نفهم بان أحد أهم أسباب وفلسفة تبيان منعطفات سلسلة الهوية الحقيقية في الأدعية والزيارات هو تحصين المسلمين والمستضعفين أمام الغزو الثقافي الملحد والمشرك.

ففي «زيارة وارث» ـ وهي زيارة تقرأ خصيصا أثناء زيارة ضريح الإمام الحسين، عليه‌السلام ـ يتم تقديم آدم نبي الله، كأول حلقة من هذه السلسلة المقدسة؛

«اَلسَّلامُ عَلَيْکَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ»؛

فهذا السلام وهذه الحلقة الأولى، تبطل وتلغي جميع المفروضات التي توصل ماضي حضور الإنسان على الأرض إلى الجهل والخرافة والإلحاد. إن الزيارة تفهم الزائر في الحقيقة بان:

أولا؛ الإنسان ليس عديم الماضي وعديم الهوية؛

ثانيا؛ الهوية الحقيقية للإنسان ترتبط بسلسلة الأولياء والأنبياء الإلهيين العظام؛

ثالثا؛ حلقات هذه السلسلة مترابطة وترث من إحداها الأخرى حتى آخر حلقة؛

رابعا؛ البعيدون عن هذه السلسلة، والتائهون في برهوت الأرض، لابد أن يصبحوا لقمة سائغة للذئاب والضباع وآكلو لحوم البشر.

ومن ثم نوجه السلام بحميمية:

«اَلسَّلامُ عَلَيْکَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْکَ يا وارِثَ نُوح نَبِيِّ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْکَ يا وارِثَ اِبْراهيمَ خَليلِ اللهِ»؛

وفي هذه العبارة يصل الزائر إلى أحد أهم منعطفات تاريخ البشرية على الكرة الأرضية، أي الشجرة الطيبة لإبراهيم خليل الرحمن شيخ الأنبياء ومؤسس الإسلام وعامل تشكل سلسلتي نبوة بني‌إسرائيل وبني إسماعيل.

ومن فرع بني‌إسرائيل، جاء أبناء إسحاق النبي، عليه‌السلام، سلسلة الأنبياء وكانوا هداة بني‌إسرائيل ومبشرون بالظهور القريب لنبي آخر الزمان، محمّد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم، من ذرية إسماعيل النبي ومن جذع الشجرة الطيبة إبراهيم خليل الله، عليه‌السلام، والذي جاء بالدين الكامل والدين العالمي والرسالة العالمية لجملة الخلق والخلائق في الأرض.

وحدث في هذا المنعطف، وللأسف إنحراف إثر سمسرة إبليس اللعين، اذ تبقى تداعياته ونتائجه المريرة حتى ظهور الإمام المبين.

وبنو إسرائيل وحسب طبعهم، أصروا على عصبية العرق والدم وأحجموا بالتالي عن متابعة الخريطة الإلهية العامة وما كان مقدرا حقا. ولم يحتملوا بني إسماعيل وتخلوا عن أمر حضرة الحق إلى أن ظهر أشرارهم في هيئة قال الله تعالى عنهم:

«لَتَجِدَنّ أَشَدّ النّاسِ عَدَاوَةً لِلّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ... »؛[١]

ومن بني‌إسرائيل، كفر قوم ولاحقتهم لعنة الله وابتعدوا عن رحمة الله. وكل هذا كان جزاء عصيانهم واعتدائهم وتمردهم على أمر الله وأحكام الرسل.

«لُعِنَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ **بني‌إسرائيل** عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ»؛[٢]

حتى لا يبقى المستضعفون والمؤمنون من أصحاب الرؤية والفكر الصحيح، غافلين عن التاريخ والخريطة الإلهية العامة لسير وسفر الإنسان في الأرض وألا يصبوا كورقة شجرة عائمة في بحر هائج وحتى لا يصبحوا لعبة بيد أغراض شياطين الجن والإنس.

وفي عبارة أخرى عندما نقول:

اَلسّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عيسى رُوحِ اللهِ،

فهذا يذكر بمنعطف مهم آخر، نهاية عهد أنبياء بني‌إسرائيل وانتقال النبوة والرسالة إلى بني إسماعيل.

ومع بعثة النبي الأكرم، محمّد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وصلت سلسلة النبوة والرسالة إلى آخر وأكمل حلقاتها. ونزل الدين الكامل و الكتاب الكامل.

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ...»؛[٣]

ومن هذا الفصل ومع وجود الدين العالمي والكتاب الكامل، يبدأ الإنسان رحلة تحت إمامة خلفاء وأوصياء النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، من ذرية

١. سورة المائدة، الآية ٨٢.
٢. السابق، الآية ٧٨.
٣. السابق، الآية ٣.

إسماعيل، عليه‌السلام، وهو ما يؤدي [في حال زوال الحواجز] إلى حكومة الصالحين الإلهية ويرث المستضعفون الأرض ويصبحون خليفة الله.

و«الزيارة» جملة بجملة تُذكرّ بالمنعطف المهم المتمثل بنهضة أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام، عام ٦١ للهجرة في كربلاء ووصف كمالاته الحقيقية، وينتبه الزائر إلى سائر الحلقات التي هي كخط نوري لتقود الإنسان إلى تجربة آخر حلقة وآخر منعطف.

إن هذه الزيارات هي في الحقيقة تفسير وشرح وتذكير ب «الخريطة الإلهية العامة» و «حكمة التاريخ»، كما تساهم في ألا يفقد المستضعفون والمؤمنون في إطار سُنة الزيارة وطلب القرب والثواب، إمكانية حفظ الوعي والمعرفة التاريخية وحتى الرؤية السياسية والإجتماعية (المبنية على الأسس الدينية). ولذلك يمكن القول بان جميع الأعمال الفردية والجماعية الإسلامية وجميع السنن والآداب وحتى الشعائر الدينية، ستكون مرشدا للإنسان في السير والسفر الآمن في الأرض إلى أبدالآباد.

ثلاثة منعطفات في زيارة عاشوراء

تضع «زيارة عاشوراء» ثلاثة منعطفات مهمة وبارزة أمام عيني الزائر (الإنسان المؤمن):

١. واقعة عاشوراء عام ٦١ للهجرة؛

٢. الواقعة الشريفة والمقدسة لظهور صاحب الأمر(عج)؛

٣. واقعة القيامة الكبرى.

جدير ذكره أن هذه المنعطفات الثلاثة، هي أولا: تحظى بتجانس ذاتي مع السلسلة المقدسة للهوية الحقيقية الدينية، وثانيا: يمكن تحديدها على امتداد أحدها الآخر، وفي الحقيقة لا يمكن إنكار التجانس والإرتباط الطولي لهذه المنعطفات الثلاثة وترابطها مع بعضها البعض.

إن المعرفة الطبيعية والعلم الحديث، يغلق ملف وجود الإنسان عشية موته. كالشئ الذي ينتهي تاريخ صلاحيته ويرمى إلى سلة المهمات إلى الابد.

إن معرفة الإنسان من وجهة نظر العلم المادي، تتوقف عند هذه المرحلة أي الحياة الدنيوية، لكن الشخصية الحقيقية للإنسان من وجهة نظر الإنطباع الوحياني والديني لا تتمثل في جسمه وتجليات جسمه المادية، بل في جوهر وجذر متعال لا

يهزمه الموت إطلاقا. نواة خالدة تتجاوز كل الحدود المادية وحدود الزمان والمكان وأي عامل مقيد.

إن الحياة الدنيوية في هذا النظام الخاص، هي جزء صغير من السلسلة الطويلة للإنسان في الكون. ولذلك فان موضوع عالم ما بعد الموت والقيامة (والذي يوفر تماما إمكانية ظهور وبروز وتبلور الأعمال العلنية والخفية للإنسان والتعاليم الروحانية) يكتسي أهمية خاصة.

إن التزام الصمت تجاه الموت وعالم ما بعد الموت، بمثابة رؤية الإنسان وكأنه متروك لشأنه في صحراء العالم الفاني المليئة بالبلاء، وبمثابة غياب المصير والقدر لدى كائن يرتبط بالعالم الفاني من جهة وبالعالم الباقي من جهة أخرى.

إن هذا الكائن الفاني بجسمه والباقي بروحه، ستستمر رحلته إلى ما لا نهاية. «إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ».[1]

إن المنظومة الفكرية والعقائدية للإنسان الشيعي، توسع أفق رؤية الشيعة إلى أبعد من عام ٦١ للهجرة وتصعد بهم إلى الأعالى إلى القيامة الكبرى. إن هذا السير والسفر من عالم الدنيا إلى عالم العقبى، يصل في طريقه إلى منعطف واقعة الظهور الشريفة. وهي الواقعة التي تنطوي على أرضية إكمال نهضة أبي عبد الله، عليه‌السلام، في عاشوراء وتؤدي إلى ظهور وتجلي جميع الصفات الكمالية لله في الأرض وبروز كل المواهب الكامنة لدى ما سوى الله.

إن موضوع الآية الشريفة «**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**»[2] وإعلانها علانية في «يوم خالد» وبجانب «بركة الغدير»، هو إعلان عطية نازلة

١. سورة البقرة، الآية ١٥٦.
٢. سورة المائدة، الآية ٣.

من السماء وبداية لدورة تبدأ مع ولاية وإمامة الخلف الصالح ووصيّ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، لكي يشهد معها وفيها جميع المسلمين بشرط التبعية وقبول الولاية، إتمام النعمة وإكمال الدين في الحياة.

إن أمير المؤمنين علي، عليه‌السلام، هو في بداية يوم إكمال الدين وأن صاحب الزمان الإمام المهدي، أرواحنا له الفداء، في نهاية ذلك اليوم. ففي واقعة الظهور الشريفة حيث يصبح الإمام مبسوط اليد وتمارس الولاية التامة، يظهر نور الله بالتمام والكمال.

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمٌّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»؛[١]

وهذا هو شرف وشموخ لدين النبي الخاتم وعلو شأن النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الطاهرين ان يقع الدين الكامل وإتمام النعمة في دولتهم.

«هُوَ الّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرهُ عَلَى الدِّين كُلّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»؛[٢]

إن عاشوراء التي تنطوي على تبلور غاية العبودية في الإنسان الكامل (الحسين بن علي عليهما السلام)، يتجلي فيها معنى جوهر الواقعة (الظهور الكبير) التي تظهر فيها غاية الرحمانية والنعمة الإلهية.

إن واقعة الظهور الشريفة هي التجسيد الموضوعي لخبر إكمال الدين في عيد الغدير والظهور التام لنور الله، الذي سيظهر للجميع ولو كروه الكافرون والمشركون، لذلك فان هذه الواقعة الشريفة تشكل بالضرورة همزة الوصل والإتصال بين الزمان والعالم الفاني وبين الزمان والعالم الباقي أي القيامة الكبرى.

---

١. سورة الصف، الآية ٨.
٢. السابق، الآية ٩.

إن أيا من المنعطفات هو بمثابة العمود الذي يحمل على كتفيه الجسر الكبير الذي يمرر عبره الإنسان.

إن هذا الحوار والإشارات الواردة في «زيارة عاشوراء» هي بمثابة نبراس منير يرشد الزائر إلى أن ينال السعادة النائية والوجهة السامية للمفلحين.

وبينما يفتح الزائر أثناء الزيارة، بمعرفة تامة، جناحي الطيران إلى الآفاق البعيدة للتولي الكبير والتبري الكبير، يسأل الله أن يرزقه السعادة في الدنيا والآخرة والرزق مع الطالب بالثأر لدم الحسين، عليه‌السلام، ويقول:

«يَا أَبَا عبدالله إِنِّی سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَی يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛

وفي ختام هذا السير والسلوك العارف، فان الزائر الذي رسخ عهده مع الإمام المبين، يسأل الله تعالى ألا يجعل هذا آخر العهد منه، بل يسأله أن يرزقه الزيارة مرة أخرى ومرة أخرى.

مسافر جادة الكمال

مقام القرب، مقام التواضع، مقام الحبّ

إن القرب من الله تعالى هو مطلب روح الإنسان؛

إن قصصا شاعرية مثل؛

لقد كنت مَلَكا وكان مكاني الفردوس الأعلىلكن

آدم جاء بي في هذه الدنيا الفانية[1]

وكذلك قصة؛

إسمع من الناي عندما يحكي

ويشكو من الفراق[2]

وما أن فصلوني عن مزرعة النايحتى دخل الرجال والنساء في أنين من نفيري

تعكس قضية الفراق وطلب الوصل البعيد عن مزرعة ناي الوجود، قصة جميع الضجر والسأم وعدم القرار والثبات وعدم صبر الروح المحبوسة في قفص الجسم، قصة الوجه المميز للإنسان مع جملة الخلائق المُلكية والملكوتية.

---

١. ديوان غزليات حافظ.
٢. الدفتر الأول لمثنوي مولوي.

إن سر كل المجئ والرحيل والصعود والهبوط والمصير هو خلق جميع الأعمال الفنية والأدبية التي يُظهر كل منها وجها من هذا التمني الخفي والغامض أمام ناظري الإنسان.

إن الإنسان وعلى النقيض من كل المخلوقات ـ ومع عبور قاسمه المشترك مع الحيوانات وسائر الكائنات ـ يتحول في الوجه الروحي والميل إلى تجربة الكمال (الفصل المفترق) إلى كائن فريد من نوعه واستثنائي، يطوي في مناخ هذه التجربة المتعالية، جميع المساحات والمراتب عسى ـ كالقطرة التي تلتحق بالبحر اللا متناهي لتجد عمرا خالدا ـ أن ينأى بنفسه عن كل نقصان وضعف وإيصال نفسه إلى أعلى مراتب الكمال الخالد. ومن هنا قلت إن الميل إلى التقرّب هو مطلب روح الإنسان واكثر مطالبه حقيقة.

إن هذا التقرّب ليس تقرب الجسم في المكان والزمان الفيزيائيين الفانيين، بل السير في المراتب الروحية والوجودية وتجربة الكمالات التي تأخذ بيد الإنسان لتعبر به من التراب والأفلاك وتوصله إلى أرفع مقام، أي القرب من الله. وكما يقول مولانا:

إن القرب ليس الذهاب إلى أعلى والهبوط إلى أسفل بل أن قرب الحق هو التخلص من البحث في الوجود

إن مجمل التكاليف الإلهية والأحكام الشرعية ومن بعدها التعاليم الأخلاقية وضعت من أجل الوصول إلى الكمال والقرب وأن التقريب هو بمثابة التقرّب إلى حقيقة الوجود، أي الله سبحانه وتعالى الذي يجمع بذاته جميع الكمالات ومطلق

الكمالات. لذلك، فان موضوع «القرب» هو أهم لطف من الحكيم غير المحتاج تجاه كائن مصاب بالفقر الذاتي والنقص في جميع الأوجه.

وبمقتضى قاعدة اللطف، اعتبر الله إرسال الأنبياء وإنزال الكتب وسيلة لتحلي الإنسان بالمعرفة وجعله تجربة للقرب. والأهم من ذلك هو الدعوة إلى التقريب من قبل الله غير المحتاج والغفلة عن ضرورة التقريب من قبل العبد المحتاج.

في الآية الكريمة «**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**»؛[١]

إنه الصديق الأقرب إلى منى والأكثر غرابة أنى بعيد عنه

ما العمل ولمن أستطيع القول أنه قريب منى وأنا مهجور[٢]

وهناك قرب من جانب الله تعالى تجاه عباده فضلا عن أن تقربه هو أكثر من قرب حبل الوريد إلى الإنسان، بحيث يقول تعالى:

«**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**»؛[٣]

إن «القرب إلى الله» مؤشر على أعمق علاقة للإنسان مع خالقه المتعال الذي هو برغم الإستغناء جاهز لرفع مخلوقه إلى أرفع المراتب التي لا يمكن له حتى أن يتصورها.

إن الهبوط إلى الأرض والسفر فيها، رغم أنه كان بمثابة الهبوط من عرش الرحمن إلى فرش الشيطان، لكن هذا المجال كان متاحا للإنسان لكي يجتذب «الأنوار الربوبية» من خلال العودة إلى الرفيق الأعلى والتقرب إليه، ويتحول إلى مرآة تعكس بالكامل صفات الكمال. ولذلك قال الله تعالى:

---

١. سورة البقرة، الآية ١٨٦.
٢. كلستان سعدي شيرازي.
٣. سورة ق، الآية ١٦.

«فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ»؛[١]

ونظرا إلى إتساع وجود الإنسان وتمنياته الذاتية للقرب، فانه يتم إعتبار الإنسان **«مسافر جادة الكمال»** وإن أهم مطلبه ووجهته النهائية في رحلته في الأرض هي إجتذاب أرفع مراتب الأنوار الإلهية.

وفي «المناجاة الشعبانية» فان المؤمن الباحث عن الكمال يقرأ:

«اِلهى وَاَلْحِقْنى بِنُورِ عِزِّکَ الْاَبْهَجِ، فَاَکُونَ لَکَ عارِفاً، وعَنْ سِواکَ مُنْحَرِفاً»؛

وهناك هذا الإعتقاد تجاه المعصومين، عليهم السلام، بانهم حائزون على أعلى مقام القرب، فبينما هم شعاع من نور حضرة الحق، لا نعتبرهم منفصلين عن الله.

«لا فَرْقَ بَيْنَکَ وبَيْنَهَا (بينهم) إلّا أَنَّهُم عِبَادُکَ وَخَلْقُکَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِکَ، بَدْؤهَا مِنْکَ وَعَوْدُهَا إِلَيْکَ»؛[٢]

وفي «حديث المعراج» وصل الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، إلى منزلة من القرب إلى حضرة الحق، بحيث أن رئيس عالم المجرّدات الملك المقرب، حضرة جبرئيل، عليه‌السلام، تخلف عن النبي وقال:

«لَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً لاَحْتَرَقْتُ»؛[٣]

إن معراج النبي الأكرم(ص) هو أحد الوقائع المهمة والعظيمة في حياة النبي الأكرم(ص) والذي تمت الإشارة إليه في القرآن الكريم في الآية الأولى من سورة «الإسراء». كما أن «سورة النجم» تتضمن إيضاحات في هذا الخصوص.

---

١. سورة هود، الآية ٦١.
٢. الزيارة الرجبية.
٣. سورة النجم، الآية ٨.

إن «حديث المعراج» يبيّن مقام قرب رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، ومرتبته عند الله تعالى. **فعن ابن عباس في خبر: «فلما بلغ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب قال جبرئيل: تقدم يا رسول الله ليس لي أن أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت».**

وجاء في رواية أخرى أنه(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد، وتخلفَ عني، فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمّد إن انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربي جلّ جلاله. فزخَّ بي في النور زخّة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علوّ ملكه».

وعن رسول الله، صلّى الله عليه و آله، إنَّ اللهَ تَعالى قالَ:

وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبدى بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ. وما يَزالُ عَبدى يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتّى اُحِبَّهُ، فَإذا أحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذى يَسمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذى يُبصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتى يَبطِشُ بِها، ورِجلَهُ الَّتى يَمشى بِها، وإن سَأَلَنى لَاُعطِيَنَّهُ، ولَئِنِ استَعاذَنى لَاُعيذَنَّهُ[١].

إن الكلام البليغ لمولى المتقين، هو تجسيد لقرب مقامه إلى حضرة الحق وتجلي الصفات الكمالية المتعالية فيه بنحو أتم وتامّ، بحيث يقول عليه‌السلام:

«أنا عَيْنُ الله وأنا يَدُ الله وأنا جَنْبُ الله وأنا بابُ الله.»[٢]

---

١. إرشاد القلوب، ج ١، ص ٩٢.
٢. أصول الكافي، ج ١، ص ١٥٤ (باب الإنسان الكامل).

وفي «خطبة الغدير» يقول النبي الأعظم، صلى الله عليه وآله وسلم، في وصف الإمام علي‌بن أبي‌طالب، عليه‌السلام (بهذا المقام والصفة الكمالية الخاصة التي يتصف بها الإمام):

«مَعاشِرَ النّاسِ، إنّهُ جَنْبُ اللهِ الّذى ذَكَرَ فى كِتابِهِ الْعَزيزِ»؛[1]

قصة المعراج وفقا للروايات

ومعروف أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كان في تلك الليلة في بيت **أم‌هاني**، بنت أبي طالب، عليه‌السلام، ومن هناك ذهب إلى المعراج، وأن مجمل المدة التي ذهب بها النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، إلى «بيت المقدس» و «المسجد الأقصى» والسماوات، ومن ثم عاد، لم تطل أكثر من ليلة واحدة، بحيث أنه كان في صبيحة تلك الليلة في نفس البيت. وفي تفسير «العياشي» قال الإمام الصادق، عليه‌السلام: إن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، صلى صلاة العشاء و صلاة الفجر في مكة.

ومن القضايا التي اتفقت لرسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، في مكة قضية «المعراج» وذلك على ما نطق به القرآن الكريم، فلقد أُسري به(ص) ليلاً بجسده الشريف وفي حال اليقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو: بيت المقدس، راكباً على مركب أعدّه له جبرائيل بأمر من الله تعالى يقال له «البُراق» وذلك بصحبة جبرائيل حيث نزل به بطيبة في طريقه إلى المسجد الأقصى فصلى فيها رسول الله(ص) فقال له جبرائيل: هذه طيبة واليها مهاجرتك، ثم نزل به بطور

---

١. خطبة الغدير.

سيناء، فصلى فيها فقال له جبرائيل: هذه طور سيناء حيث كلّم الله موسى تكليماً، ثم نزل به بعد ذلك ببيت لحم فصلى فيها فقال له جبرائيل: هذه بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ثم انتهى به إلى بيت المقدس فنزل هناك. ثم سرى به في تلك اللّيلة من بيت المقدس إلى مسجد الكوفة حيث صلّى هناك أيضاً.

وطبقا للروايات التي نقلها الشيخ الصدوق(رض) وآخرون، فان من الأماكن التي شاهدها النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، أثناء سيره فوق الأرض هي أرض «قم» التي كانت تتلألأ كبقعة وعندما سأل جبرئيل عن تلك النقطة قال:

«هنا أرض قم التى يجتمع فيها عباد الله المؤمنين وشيعة أهل بيتك وينتظرون الفرج وتحل بهم الصعاب والأحزان».

وفي الروايات أن الدنيا ظهرت في تلك الليلة على هيئة إمراة جميلة متبرجة، لكن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أهملها وتجاوزها.

ومن ثم عرج إلى السماء الدنيا ورأى هناك آدم ابوالبشر، عليه‌السلام، وثم جاءت الملائكة فوجا فوجا لإستقباله وسلمت عليه ضاحكة مستبشرة، وباركت له. وفي رواية أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني ملك إلا ضاحكا مستبشرا، يقول خيرا ويدعو به، حتى لقيني ملك من الملائكة، فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك إلي، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك، لضحك إليك، ولكنه لا يضحك،

هذا مالك صاحب النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقلت لجبريل: ألا تأمره أن يُريني النار؟ فقال: بلى، يا مالك، أرِ محمّدا النار. قال: فكشف عنها غطاءها، فقال: ففارت وارتفعت، حتى ظننت لتأخذن ما أرى. قال: فقلت لجبريل: يا جبريل، مُرْه فليردها إلى مكانها.

وطبقا لهذه الرواية، قال رسول الله(ص): لما أُسري بي إلى السماء رأيت مَلَكاً من الملائكة بيده لوح من نور، لا يلتفت يمينا ولا شمالا مقبلاً عليه، ثبّه كهيئة الحزين، فقلت: مَن هذا يا جبرائيل؟!. فقال: هذا ملك الموت، مشغولٌ في قبض الأرواح فقلت: أدنني منه يا جبرائيل لأكلّمه، فأدناني منه، فقلت له: يا ملك الموت!.. أَكلُّ مَن مات أو هو ميتٌ فيما بعد أنت تقبض روحه؟.

قال: نعم، قلت: وتحضرهم بنفسك؟.. قال: نعم، ما الدنيا كلها عندي فيما سخّرها الله لي ومكّنني منها إلا كدرهم في كفّ الرجل يقلّبه كيف يشاء، وما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كل يوم خمس مرات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه، فإنّ لي إليكم عودةً وعودةً حتى لا يبقى منكم أحدٌ.

قال رسول الله(ص): كفى بالموت طامّةً يا جبرائيل! فقال جبرائيل:

ما بعد الموت أطمّ وأعظم من الموت.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون السمين الطيب. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن. قال: ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل، فى

أيديهم قطع من نار كالأفهار، يقذفونها فى أفواههم، فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما. قال: ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون، يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يُعرضون على النار، يطئونهم لايقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلک. قال: قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا. قال: ثم رأيت نساء معلقات بثديهنّ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم.[١]

قال: ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فتكرر نفس الحديث، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما أبناء خاله، قال: هذا يحيي بن زكريا وعيسى بن مريم فسلم عليهما، فسلمت وردا السلام ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

---

١. روى الشيخ الصدوق(رض) في كتاب «عيون» بسنده عن أميرالمؤمنين علي‌بن أبي‌طالب(عليه‌السلام) قال: دخلت أنا وفاطمة على رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأمي يارسول الله ما الذي أبكاك؟ فقال: ياعلي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهن، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها، ورأيت امرأة قد شد رجلاها إلى يديها وقد سلط عليها الحيات والعقارب، ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها منقطع من الجذام والبرص، ورأيت امرأة معلقة برجليها في تنور من نار، ورأيت امرأة تقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار، ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعائها، ورأيت امرأة رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن الحمار وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.
فقالت فاطمة(عليها السلام): حبيبي وقرة عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع عليهن هذا العذاب؟ فقال(صلى الله عليه وآله): يا بنيتي أما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فانها تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثدييها فانها كانت تمنع من فراش زوجها، وأما المعلقة برجليها فانها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فانها كانت تزين بدنها للناس، وأما التي شدت يداها إلى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب، فانها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلاة، وأما الصماء العمياء الخرساء التي في تابوت من نار يخرج من دماغ رأسها من منخرها فانها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، وأما التي كانت تقرض لحمها بالمقاريض فانها كانت تعرض نفسها على الرجال، وأما التي كانت يحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فانها كانت قوادة، وأما التي كان رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن الحمار فانها كانت نمامة كذابة، وأما التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فانها كانت قينة نواحة حاسدة. ثم قال(صلى الله عليه وآله): ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها.

قال ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح وتكرر نفس الحديث، فلما خلصت فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر، قال: قلت: من هذا يا جبريل ؟ قال هذا أخوك يوسف بن يعقوب فسلم عليه، فسلمت فرد السلام ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال: ثم صعد بي إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته: من هو ؟ قال هذا إدريس.

قال: ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فاستفتح، وتكرر نفس الحديث، فلما خلصت إذا فيها رجل كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون (اللحية)، لم أر كهلاً أجمل منه قال: قلت من هذا يا جبريل ؟ قال هذا المحبب في قومه هارون بن عمران فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال ثم صعد بي إلى السماء السادسة فاستفتح، وتكرر نفس الحديث، فلما خلصت قال هذا أخوك موسى بن عمران فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال ثم صعد بي إلى السماء السابعة، وهناك ما مَرَرْتُ على مَلَك من الملائكة إلا قالوا: عليك بالحجامة يا محمّد ومُرْ أمتك بالحجامة. فاستفتح وتكرر نفس الحديث، إذا فيها رجل كهل جالس على كرسي على باب البيت المعمور فقلت: يا جبريل ما هذا ؟ قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك وإذا خرجوا منه لا يعودون إليه قال: قلت من هذا يا جبريل؟ قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، فقال مرحباً بالإبن الصالح والنبي الصالح.

وجاء في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لى جبرئيل: تقدّم يا محمّد، وتخلفَ عنى».

وعن ابن عباس في خبر: **«فلما بلغ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب قال جبرئيل: تقدم يا رسول الله ليس لي أن أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت»**. الى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم إن جبريل ودعه وتقدم هو إلى أن مر في بحر النور وكانت الأمواج تنقله من النور إلى الظلمة ومن الظلمة إلى النور إلى أن أراد الله أن يوقفني. ومن ثم خاطبني وتحدث إلي.

وماذا كانت الكلمات التي أوحى بها الله تعالى إلى رسوله، صلى الله عليه وآله وسلم، ثمة روايات مختلفة تناقلتها كما يقول القرآن الكريم بصورة إجمالية:

«فأوْحى إلى عَبْدِهِ ما أوْحى»؛[1]

ولذلك فقد قال البعض، أنه ليس من المصلحة الخوض في هذا المجال، لأنه إن كان من المصلحة لكان الله تعالى يعلن ذلك بصراحة. بينما يقول البعض الآخر أنه إن كانت هناك روايات وأدلة معتبرة عن المعصوم، فلا مانع من نقلها وذكرها.

وجاء في تفسير علي بن إبراهيم، أن ذلك الوحي يعود إلى قضية الخلافة وخلافة علي بن أبي طالب، عليه‌السلام، وذكر بعض فضائل الإمام. وفي حديث آخر أن ذلك الوحي كان ثلاثة أشياء:

١. وجوب الصلاة، ٢. خواتيم سورة البقرة، ٣. غفران الذنوب من قبل الله تعالى ماعدا الشرك. كما ورد في حديث بكتاب البصائر أن الله تعالى أخبره بأسماء أهل الجنة وأهل النار.

---

١. سورة النجم، الآية ١٠.

وعلى أي حال يقول رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أنه عاد في ختام المناجاة مع الله سبحانه وتعالى ومر من بحار النور والظلمة تلك ووصل إلى جبرئيل عند سدرة المنتهى وعاد برفقته.

إن القرب إلى الله تعالى وإحراز مقام «جنب الله» يعد أجمل وأكثر وصف قابل للفهم عن مقام «قرب» الإمام علي، عليه‌السلام، إلى الباري عز وجل، في جميع الصفات الكمالية.

سُلم التقرب

مودة أهل البيت، عليهم السلام

في ذلك اليوم الذي أعلن فيه رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يرد على أصحابه، بان أجر رسالته ومجاهدته هو المودة والمحبة تجاه القربى، أي أهل البيت، عليهم السلام ووضح كما جاء به الوحي:

«قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»؛[1]

لم يكن يتصور بان هذا هو لطف آخر من الله تعالى على العباد، لكي تتوفر من خلاله إمكانية التقرب إلى الباري عز وجل وأن يصلوا إلى بر الأمان سريعا.

إن مدرسة الشريعة، هي مدرسة تأديب وترتيب أعضاء وجوارح الإنسان وجعل العباد يتعبدون لله تعالى، بحيث يلجموا النفس الأمارة وتدجينها من خلال تطهير الأعضاء وتجنب المحرمات. وفي المرتبة اللاحقة، يصبح العبد المتشرع، مهذبا في مدرسة الأخلاق ويزكي النفس من أي رجس وذلك تحت إشراف مدرب ومرشد

---

١. سورة الشورى، الآية ٢٣.

سلك الطريق وبمدد الأذكار والعبادات، لكي تتبلور في وجود الصفات الكمالية ويصبح مظهرا للصفات الإلهية وجديرا لمقام خليفة الله.

فالتزكية تعني إنماء المواهب والتطهير والإصلاح.

تطهير النفس من الرذائل الأخلاقية والتحلي بالفضائل

ويقول المرحوم نراقي:

«إحذر أيها الأخ العزيز، طالما لا تستسهل حديث مرض النفس وتعتبر معالجته العوبة وتستهين بالمفاسد الأخلاقية... فان التقاعس في معالجته يوصل الإنسان إلى الهلاك الدائم والشقاء الأبدي، كما أن صحة الروح واتصافها بمحاسن الأخلاق يؤدي إلى الحياة الأبدية والحياة الحقيقية، وبعد أن تطهر ساحة النفس من الأخلاق السيئة وتزينها بالصفات الحميدة، تجعلها جاهزة لقبول الفيوضات الإلهية».[1]

وكما ذكر في مقال «الدعوة»[2]، فان أبواب جسم الإنسان وروحه تفتح أمام جنود إبليس على أثر عدم الإلتزام بالورع والتقوى، ويتحول الإنسان إلى ساحة تصول وتجول فيها الشياطين.

إن النجاسات الطبيعية (محرمات مثل النجاسات) والنجاسات الميتافيزيقية (محرمات مثل الكذب والغيبة و...) تلوث وتلطخ القلب لدرجة أن مولانا يقول إن الصدأ يغطي جميع سطوحه ومستوياته.

أتدري لماذا مرآتك لا تغمز لأن الصدأ يغطي وجهها

---

١. معراج السعادة، ص ١٣.
٢. من نتاج مؤلف هذا الكتاب.

وكل هذا يؤدي إلى زوال مجال «القرب إلى الله» واتصاف النفس بالصفات الرحمانية وينزل من مقام الإنسان ويجعله بمستوى البهائم بل أضل منها سبيلا، ويقول الباري تعالى في القرآن الكريم:

«أُولَئِکَ کَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِکَ هُمُ الْغَافِلُونَ»؛[١]

وورد في الروايات أن الملائكة لا تدخل البيوت التي يوجد فيها كلب.

وطالما كان بيت الجسم وساحة القلب، ملاذا وملجأ للنجاسات والرذائل وساحة يصول فيها جنود إبليس ويجولون، فانه تنعدم إمكانية نزول الملائكة واستقرار الصفات الكمالية.

لذلك فان علماء الأخلاق يدعون إلى سلوك المراتب والدرجات المهمة والإهتمام الجاد للإنسان بها ويذكرون في هذا الخصوص بضرورة التفكير والمشارطة والمراقبة والمحاسبة والمؤاخذة والتوبة والقيام بالأعمال العبادية و....

إن المصادر الوحيانية سواء الآيات والروايات تعتبر «تهذيب النفس» ك«الجهاد الأكبر» وتصفه بانه أكبر هدف لإرسال النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، وإنزال الكتب، إذ قال سبحانه وتعالى:

«هُوَ الّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُو عَلَیْهِمْ آیَاتِهِ وَیُزَکِّیهِمْ وَیُعَلِّمُهُمُ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَإِنْ کَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلَالٍ مُبِینٍ».[٢]

ویقول الإمام علي، عليه‌السلام، بشأن الإهتمام بتزكية النفس:

«طُوبی لِمَنْ عَصی فِرْعَوْنَ هَواهُ وَ أَطاعَ مُوسی تَقْواهُ وعَقلُهُ»؛

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٩.
٢. سورة الجمعة، الآية ٢.

وبلا شك فان الكثير من المواقع تقف أمام السالك إلى الله في طي المراتب يجب تجاوزها وعبورها.

وثمة رجال كثر طوال التاريخ إهتموا بهذا الغرض وسلكوا المراتب عن هذا الطريق، إلى أن اكتسبوا مراتب من «التقرب».

وفي هذا الخصوص فان **مودة وحب أهل البيت**، عليهم السلام، هو سلم مذهل يحمل في ذاته كل المواهب والطاقات لإنطلاقة الطالبين.

وفي عموم الزيارات الخاصة بأهل البيت، عليهم السلام، فان الزائر يوجه التحية ويعلن المودة والتبري من أعداء المعصومين، عليهم السلام، ويسأل الله أن يرزقه مجال ومقام القرب والتقرب عن طريق هذه الذوات المقدسة.

«أتَقَرّبُ إلى الله بِحُبّكُمُ وَالبَراءَة مِن أعدائِكُم»

وروي عن النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَحِبُّونِی لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِی لِحُبِّی إيّاهُم»؛

وليس ثمة فاصل يفصل بين مودة وتقرب أهل البيت، عليهم السلام والمودة والتقرب إلى الله تعالى، فهو طريق مستقيم وسريع، إذ أن السالك والطالب ينال مقاما شامخا في أقرب زمن بسبب العناية الإلهية الخاصة بأهل البيت، عليهم السلام.

وكل هذا طبعا لا يعني ترك التكاليف والإهمال في تنفيذ الواجبات وصيانة الحدود والشريعة الإلهية. إن هؤلاء الذين اصطفاهم واجتباهم الله تعالى، هم واسطة الفيض الإلهي وإن إضفاء الفيض على جميع الكائنات ومجمل عالم الكون يتم عن طريقهم.

وكما ذكرنا في مثلث القرب، فان واقعة القرب المقدسة رهن بثلاثة مبادئ هي المعرفة والتولي والتبري. وكلما كان نطاق ومدى وعمق المعرفة والتولي والتبري أكبر، كلما يقع القرب بهذا القدر. ومن هنا فان سالك طريق القرب، يسأل الله تعالى في «زيارة عاشوراء» التولي للساحة القدسية للحسين، عليه‌السلام، والتبري من أعدائه، ويقول:

«فَاَسْأَلُ اللهَ الَّذى أكْرَمَنى بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ اَوْلِيائِكُمْ وَرَزَقَنِى الْبَراءَةَ مِنْ اَعْدائِكُمْ اَنْ يَجْعَلَنى مَعَكُمْ فِى الدُّنْيا وَالاْخِرَةِ»؛

إن العيش بمعية أولياء الله في الدنيا والآخرة، يعني التقرب إليهم وبالتالي التقرب إلى الله، وهذا التقرب، ليس التقرب في المكان، بل التقرب في الصفات الكمالية، وإلا كان في الماضي والحاضر، الكثير من الذين كانوا قريبين من أهل البيت في المكان والزمان وحتى في جيرتهم وفي زمنهم.

وعندما يقف زوار البقيع عند أضرحة ثلاثة أئمة من أئمة الشيعة، عليهم السلام، وهم الإمام الحسن والإمام الباقر والإمام الصادق، عليهم السلام، يستأذنون الدخول ويقولون:

«يَا مَوَالِيَّ يَا أَبْنَاءَ رَسُولِ اللَّهِ عَبْدُكُمْ وَ ابْنُ أَمَتِكُمُ الذَّلِيلُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ الْمُضْعِفُ فِي عُلُوِّ قَدْرِكُمْ وَ الْمُعْتَرِفُ بِحَقِّكُمْ جَاءَكُمْ مُسْتَجِيرا بِكُمْ قَاصِدا إِلَى حَرَمِكُمْ مُتَقَرِّبا إِلَى مَقَامِكُمْ مُتَوَسِّلا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكُمْ»؛

إننا وبسبب نقصان المعرفة، غير قادرين على معرفة مقامنا وحاجتنا. ولذلك فانه تناسبا مع المعرفة، نمد يد الطلب إلى الله تعالى والإئمة المعصومين، عليهم السلام،

ونطلب عموما رفع الحواجز وكسب أنزل الحوائج المادية وحوائج هذه الدنيا. إن هذه الأدعية والزيارات تعلمنا عمليا: أي شخص نتوسل وماذا نطلب وكيف نطلب.

إن هذه الأعمال تضيف في الحقيقة للزائر وسعة نظر ورؤية وترفعه من أسفل المقامات إلى أعلى.

ويتعرف الزائر في وقت الزيارة، على المقامات الإنسانية العليا، ويطلب كسب هذه المقامات، وماعدا ذلك يطلب من المعصومين، نيل هذه المقامات ويجعلهم بمثابة سلم ووسيلة للمسار وباب الدخول إلى المقامات. وبسبب وجود هذه القوة والمقدرة في الزيارة، نعتبرها سلما لطي مقامات الكمال.

الخشوع شرط التقرّب

والان يجب رؤية كيف يمكن لهذا العبد الضعيف المتذلل، وباي معونة ورصيد وقوة، أن يصعد مراتب هذا السلم؟ وكيف يطلب كل هذه الحاجات عند عتبة الأولياء الإلهيين؟

إن الخشوع عند عتبة هؤلاء العظماء، هو أفضل معونة والوحيدة في ذات الوقت. وفي الحقيقة فان الزائر يمد يد الحاجة إلى عتبة الواسطة في رب العالمين والتي تحوي مجمل الرصيد والصفات الكمالية والجلالية.

وتذكر الروايات أن أقرب حالة للعبد في القرب إلى الله هي السجدة، لان السجدة تمثل أعلى وأرفع وأروع تجلي الخشوع والخضوع والتذلل أمام الله. وقد جاء في الآية المباركة:

«ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»؛[1]

وفي آية أخرى:

«إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ»؛[1]

---

١. سورة الأعراف، الآية ٥٥.

إن الطالب الضعيف والمسكين في الجسم الروح والفقير والمحتاج في الظاهر والباطن يمد في حالة من الإستكانة والتضرع والخشوع والخضوع، يد الحاجة إلى الباري المستغني القوي.

إن الاستكانة تعني الخضوع، وهذا الخضوع والخشوع، لا بمعنى التظاهر بالتواضع بل مظهر التواضع والخشوع الذاتي والقلبي، الذي يعبر عنه الإنسان أمام ذلك الرب العظيم.

وقال النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَفْعُ الأَيْدِي فِي الصَّلاةِ مِنَ الاسْتِكَانَة »؟ قُلْتُ : فَمَا الاسْتِكَانَةُ ؟ قَالَ : «أَلا تَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ : فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ»؛[٢]

إن ساحة العشق هي ساحة الفقر والحاجة وساحة المعشوق والمحبوب الذي لا يزال وساحة الإستغناء، وان ما يفصل العاشق عن المعشوق هو الغرور والأنانية وجعل الذات حائلا بين نفسه والمحبوب. وحسبما يقول الشاعر حافظ الشيرازي:

ليس هناك أي حائل بين العاشق والمعشوق

إنك أنت حجاب نفسك، يا حافظ انصرف

فالحبيب قريب، وهو أقر من حبل الوريد، وإن ما يبعد العبد عنه ويجعله غريبا عليه، هو أنانية العبد.

ولا تناسب بين العبودية، التي هي ضرورة لأبداء العبودية والأنانية هي الإستبداد بعينه.

---

١. سورة الأنبياء، الآية ٩٠.
٢. بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٣٥٢.

وبقدر ما يقرب إظهار الإفتقار والخشوع، العبد إلى ربه، فان الأنانية وإظهار الإستغناء يبعده ويجعله من المحرومين، وللشاعر وحشي بافقي بيتا جميلا يقول فيه:

تدلل عليّ لأني أدللك طالما كنت حيا

فلدي نصف روح ومازلت أشعر بالعوز

والزائر الذي يحج بيت الله الحرام، يخلع كل ثيابه الظاهرة والباطنة ويتوجه إلى الحرم ليطوف بتذلل وخضوع تامين، حول بيت الله وكأنه يقول بلسان القلب، كما يقول الشاعر روشن اردستاني:

إن الذين وجدوك أقلعوا وغادروا وتخلوا عن جميع الوجهات والأغراض وأغمضوا أعينهم على جميع المطالب

فالزيارة وقبل أن تكون حضورا للجسم في محضر المزار وطلب الحاجة، هي إنعكاس لميل قلب الزائر وحضوره عند عتبة المولى والحبيب.

ولسنوات شوهت «السياحة» الزوار المسلمين الذين أصبحوا يزورون المواقع الدينية لا بقصد الزيارة بل من أجل السياحة، ويندهشون للأروقة والأعمدة والبناء ويقيسون قدم المخطوطات ويلتقطون صورا تذكارية أمام المضجع الشريف للأولياء الإلهيين ليضيفوا شيئا إلى سجل ذكرياتهم. ومن هنا فان الزيارة لن تؤدي إلى إيجاد تحول في النفس.

يا حافظ! تحل بالعلم والأدب لأن من لا يتحلى

بالأدبفي مجلس الحبيب، فانه لا يستحق الكلام

إن ذروة الإستكانة والخشوع لدى العبد أمام مولاه، يمكن مشاهدتها في مناجاة أمير المؤمنين علي، عليه‌السلام، وفي «مسجد الكوفة». مناجاة عبد خاشع في ظلام

الليل، في وحدة وانكسار وافتقار، في حين لا يعرف لنفسه ملاذا والزاد الذي يعبر به صحراء المحشر الكبرى.

«اللّهُمَّ إنّي أَسْأَلُکَ الأمانَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُون»؛

«وأَسْأَلُکَ الأمانَ يَوْمَ يَعضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ: يالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً»؛

«وَأَسْأَلُکَ الاَمانَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار»؛

«وَأَسْأَلُکَ الأمانَ يَوْمَ يَفِرُّ المَرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ»؛

«مَوْلایَ یامَوْلایَ أَنْتَ المَوْلی وَأَنا العَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ العَبْدُ إلاّ المَوْلی»؛

«مَوْلایَ یامَوْلایَ أَنْتَ العَزِيزُ وَأَنا الذَّلِيلَ وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلَ إلاّ العَزِيز»؛

«مَوْلایَ یامَوْلایَ أَنْتَ العَظِيمُ وَأَنا الحَقِيرُ وهَلْ يَرْحَمُ الحَقِيرُ إلاّ العَظِيمُ»؛

«مَوْلایَ یامَوْلایَ أَنْتَ الغَنِيُّ وَأَنا الفَقِيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الفَقِيرَ إلاّ الغَنِيُّ»؛

«مَوْلایَ یامَوْلایَ أَنْتَ الحَيُّ وَأَنا المَيِّتُ وَهَلْ يَرْحَمُ المَيِّتَ إلاّ الحَيُّ»؛

«مَوْلایَ یامَوْلایَ أَنْتَ الدَّائِمُ وَأَنا الزَّائِلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الزَّائِلَ إلاّ الدَّائِمُ»؛

«مَوْلایَ یا مَوْلایَ أَنْتَ المُتَكَبِّرُ وَأَنا الخاشِعُ وَهَلْ يَرْحَمُ الخاشِعَ إلاّ المُتَكَبِّرُ، مَوْلایَ یامَوْلایَ ارْحَمْنِي بِرَحْمَتِکَ وَارْضَ عَنِّي بِجُودِکَ وَكَرَمِکَ وَفَضْلِکَ»؛

«یاذا الجُودِ وَالاِحْسانِ وَالطَّوْلِ وَالامْتِنانِ بِرَحْمَتِکَ یاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

أريد أن أقول بان التعامل الذي يختزل الذوات المقدسة في ضريح فضي والتوجه نحوهم في وقت الحاجة، هو أقرب إلى المزاج منه إلى الولاية. إن لم نقل بانه أكثر

التعاملات ظلما في حق إنسان عادي ناهيك عن عباد الله المصطفين والمصلحين والمعصومين. ولا أريد أن أقول بانه لا يجب اللجوء إلى أبواب الحوائج من أجل رفع وتلبية الحاجات الصغيرة والكبيرة. فهم سادات وأصحاب مقام ومنزلة عند الله تعالى، ولذلك فانهم يقومون بمقام الشافع والوسيط وكم هو أفضل أن ناخذ بحاجاتنا لديهم بدلا من التكدي لدى أصحاب مال الدنيا والجاه، لكني أريد القول بان معاملتنا (ذات الإتجاه الواحد) ظالمة لأننا نذهب إلى هؤلاء الحضرات لرفع حاجاتنا الدنيوية الصغيرة والكبيرة فحسب واننا لا نتوجه إليهم في سير وسلوكنا في الأرض وان أذن السمع وأذن الروح لدينا صماء أمام مطالبهم وأوامرهم ونواهيهم التي هي أوامر ونواهي الباري عز وجل.

وهذا التصلب في الأذن هو كامتلاء الأذن. إن أذننا مليئة لدرجة أننا فقدنا حاسة السمع. لقد وضعنا هؤلاء الحضرات في خدمة هواجسنا من دون أن نورد ذلك على لساننا ومن دون أن نولي لهم حقا في الأمر والنهي.

وإن نظرنا جيدا، فاننا عندما نبلغ مرحلة الكهولة والشيخوخة وبعبارة أخرى تصاب عموم جوارحنا واعضاؤنا بالشيخوخة، نقف في الصف الأول من صلاة الجماعة في المساجد. وللأسف في ذلك الحين، نريد أن نضمن ملكية الأجنحة والأروقة في الجنة وزيادة عدد الحوريات. وهذا من نوع المعاملات التي اعتدنا عليها. إن عملنا تابع لعمل التجار الذين يريدون كل شئ وكل شخص من أجل التجارة الربح.

ونقرأ في الآية المباركة: «**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ.**»[١] كما نقرأ الآية الكريمة :

«رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ.»[٢]

إن طلب أن نكون في صف «الأبرار» هو أرفع بكثير من طلب الماء والخبز والعمل، ومن أجل نيله لا يلقي أحد قطعة نقود في ضريح ما، لأنه من أجل الورود في صف الأبرار والحشر معهم، لا يتم قياس هكذا طلب كبير بطلب صغير.

إن آية « **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**» ربما هي رد على هذا الطلب. إن شرط الاستجابة لهذا الدعاء هو إنفاق ما نحب ونحرص عليه. وإن سمعنا صوتا ينادينا في تلك اللحظة التي نرفع أيدينا فيها بالدعاء ويقول:

«أيها السائل! ماذا ستعطى مقابل ما تطلب؟ فهل سيكون لدينا رد؟

وربما نظن بان وضع ورقة نقود في كف فقير مستعط، سيشكل ردا على هذا السؤال. ونحن اذ حصلنا على حاجتنا! فهل ما أنفقناه من كل ومجمل ما نملك، هذه الورقة النقدية وحتى مائة أمثالها؟ الامر بلا شك ليس كذلك! والآية تجيب: لن تنالوا.

إن إيجاد ودرك جهوزية الإنفاق التام والإنفاق بما نحبه، هو شرط تجربة ذلك المقام. وربما أن الوقوف في مقام الجهوزية التامة من أجل الإنفاق التام، ينطوي في حد ذاته على تجربة مقام الأبرار.

وطالما كان هذا الإعتبار والمصداقية الظاهرية الدنيوية، تحظى بوجاهة ومنزلة لدينا، ولم نستحدث لدينا تلك الجهوزية للإقلاع عن كل ذلك، فان ذلك الطلب، يبدو نوعا من الطيش. وطالما لم نبذل جهدا من أجل الناس والمؤمنين وطالما هذا لم

١. سورة آل عمران، الآية ٩٢.
٢. سورة آل عمران، الآية ١٩٣.

يحدث في أنفسنا، ولم يتجسد الإنفاق في روحنا وفعلنا، فاننا لن نصل إلى نتيجة. وإن مجرد رفع الإيدي إلى السماء للدعاء وتأدية الصلوات المستحبة وعدم الاهتمام بما يحدث لخلق الله، لن يحقق لنا شيئا ثمينا.

إننا لم ندخل في خدمة لكن نفكر بدرك الدرجات العلى في الملكوت الأعلى. ندفع الكل إلى الصعاب والشدائد لكننا لا نحتمل أعباء المؤمنين. ولا شك بانه يمكن من بين هذه المدن الصاخبة إيجاد أناس حصلوا على حاجاتهم من دون أن ينبنسوا ببنت شفة من أجل تلبية هذه الحاجات، إنهم أعدوا مسبقا أنفسهم وباطنهم من أجل ذلك.

ولِمَ يجب أن نتصور باننا سننجو من الأرض ونعتلي عرش العيش والتنعم في الجنة بمجرد تأدية صورة الأعمال العبادية والأحكام وحتى الإصرار عليها أو الوسواس في تأدية مخارج حروف الأدعية والأذكار؟

ويقول الله سبحانه وتعالى:

«لَيْسَ الْبِرّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»؛[١].

فالأبرار هم المنفقون على ذويهم واليتامى والمساكين والعاجزين والعبيد، والذين يأتون الزكاة والذين يصمدون في وقت الهجمات والحرمان والمرض والحرب.

«أُوْلَئِکَ الّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِکَ هُمُ الْمُتّقُونَ»؛[٢]

وذكر في مجمل هذه الشروط، أن إحراز مقام البر، يكمن في تحمل الصعاب والشدائد في سبيل اسداء الخدمة للمحرومين والمساكين، ورفع الأعباء عن كاهل المعدمين والمسحوقين والتخلي عن أفضل ما نحب في سبيل تلبية حاجات

١. سورة البقرة، الآية ١٧٧.
٢. السابق.

المحتاجين، وهذا يعد من أبرز أي أمر وتكليف. وربما أن سر عدم الاستجابة للكثير من الدعاء والرجاء والتضرع، يكمن في هذا.

ولا نقدم خدمة جليلة حتى نطلب بواسطة عدة ركعات وسجدات، طي الأرض ولقاء إمام الزمان، عليه‌السلام!!

وهل درسنا وتعمقنا في أحوال العديد من المؤمنين الراحلين والذين التقوا إمام الزمان، عليه‌السلام، وكذلك أحوال أصحاب الكرامة؟ وليس بقليل عدد الحمالين وصانعي الأقفال والخادمين الذين التقاهم الإمام، عليه‌السلام، أو جعلهم وسيطا لإيصال الفيض إلى سائر المحتاجين، بينما ثمة جمع غفير من الزهاد والعباد والعلماء ذائعي الصيت لم يخرجوا من عتبة المسجد حتى بعد سنوات من العبادة والزهد والعلم. ناهيك عن طي الأرض ولقاء ومشاهدة ملكوت السماء والأرض. ولا بأس أن نعرف من القرآن الكريم، أوصاف الأبرار:

«إِنّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا...»؛

«عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً»؛

«يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً»؛

«وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيراً »؛

«إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا»؛

«إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيراً»؛[1]

١. سورة الإنسان، الآيات ٥- ١٢.

إن حقيقة البرّ تتجلى في وجود محمّد وآل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم، وإن صفة البرّ خاصة بهم. إنهم الأبرار والبقية من طالبي مقام البرّ هم تابعو الأبرار شرط أن تحصل الشروط.

إن البرّ يتجلى بشكل تام وتمام في الوجود المبارك للإمام علي، عليه‌السلام، وأهل بيت النبي، عليهم السلام وإن مقام الأبرار الشامخ هو لهم وخاص بهم الذين يملكون جميع صفات الأبرار في إطعام المساكين والإنفاق والوفاء بالنذر «لوجه الله». وكل هذه الأعمال تحصل لهم في خلوص تام لوجه الله تعالى من دون أن يطلبوا جزاء أو شكرا من الخلق.

«إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا»؛

وسائر الناس، يصبحون من أهل البرّ والإحسان وينهلون من عين ذرية الأبرار وذلك تحت عناية أهل الأبرار ـ محمّد وآل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم- من خلال التأسي بفضائلهم وسيرتهم وسنتهم الكاملة والحميدة.

«عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا»؛[1]

وينقل حسن بن مهران في حديثة:

إن القصد من العين، هو عين في بيت رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، تجري في بيوت الأنبياء والمؤمنين.[2]

وليس المؤمنون فحسب بل جميع الأنبياء يشربون من كأس كان مزاجها كافورا.

إن كل سخي في سخائه وكل شجاع في شجاعته وكل محسن في إحسانه، مدين لينبوع جملة السخاء والشجاعة والإحسان والبرّ.

---

١. السابق، الآية ٦.
٢. البرهان، ج ٩، ص ٣٢٠.

إن هؤلاء ومن خلال معرفتهم ووعيهم بالمقام والمنزلة السامية لاولئك الأبرار، يعتبرون أنفسهم حاميا ومدينا وفيا لميثاق ولاية ذرية الوحي.

ويقول الصفار في «بصائر الدرجات» عن الإمام موسى بن جعفر،عليه‌السلام،:

قلت ما المقصود من «يوفون بالذر» قال عليه‌السلام: إن الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا«[١]

إن الناهلين من منهل إحسان الأبرار، يوفون بعهد الله بشأن ولاية ومقام أهل البيت، عليهم السلام، وهذا الوفاء هو شرط قبول مجمل العطاء وإطعام المساكين وحاجة مسبقة ضرورية له، وإلا فان جملة خلق الله، يقوم في المناسبات المختلفة باطعام الفقراء ومساعدة العاجزين. إن قيامهم هذا لا يجعلهم بالضرورة يكتسبون صفة الأبرار والمقيمين في مدينة البرّ. ويقول الله سبحانه وتعالى في أواخر سورة «الإنسان»:

«إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً»؛[٢]

إن من يفتح قلبه ليسمع نداء الحق، يتذكر من هذه الآيات بان الصراط المستقيم والوصول إلى الحق الذي هوعين الفلاح، لا يتأتى إلا عن طريق الولاية الحقيقية لأصحاب درجة البرّ التامة ومصاديق الصراط المستقيم.

إن مكافأة الذين وضعوا أقدامهم في مسار الأبرار، المسار الذي يستقر في انتهائه وفي أعلى مراتبه، أهل البيت، عليهم السلام، هو النهل من منهل ولاية علي، عليه‌السلام واولاده، الشراب الذي ينبع من ذرية الوحي.

---

١. بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٩٨.
٢. سورة الإنسان، الآية ٢٩.

وينقل محمّد بن يعقوب بسلسلة إسناد عن الإمام موسى بن جعفر، عليه‌السلام، انه قال عندما سئل عن قول الله تعالى «**إن هذه تذكرة**» فقال: ان القصد هو الولاية. قلت ما المقصود من الرحمة في الآية «**يُدْخِلِ مَنْ يَشَاء فِي رَحْمَته**»[١]، قال: ولايتنا.

إن الرحمة الممنوحة للأبرار هي أيضا ولاية أهل البيت، عليهم السلام. بعبارة أخرى فان الشراب والساقي كلها هو. ويتم على أيديهم إعطاء شراب الولاية إلى المتعطشين المستحقين والجاهزين للبرّ، الشراب الذي هو الرحمة بعينها.

وينقل ابن شهر اشوب في «المناقب» عن الإمام الباقر، عليه‌السلام، في هذا الخصوص:

«يُدخِل مَنْ يَشاء فى رَحْمَة»؛

أي يدخل من يشاء في رحمة، رحمة [ولاية] عليبن ابيطالب، عليه‌السلام».[٢]

وربما يمكن القول بعد كسب الإذن من حضرة أمير المؤمنين علي، عليه‌السلام، الذي هو آية البرّ وطريق نيل ينبوع الأبرار وساقي شراب الولاية والرحمة:

«لَنْ تَنَالُوا الْبِرّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ»؛

لا يمكن الوصول إطلاقا إلى ينبوع البرّ المتجلي في ولاية أهل البيت، عليهم السلام ولا يمكن الحصول من أيدهم المباركة على كأس ملئ بشراب الولاية الذي هو عين الرحمة والفلاح، إلا اذا أنفق مؤمنو أهل الولاية، من ما يحبون استقبالا لقدومهم، وبشكل حميمي ومن دون طلب جزاء أو شكور، وذلك على طريق القرب والحُب إلى الله، مثلما أنهم كانوا هكذا وفعلوا هكذا إلى أن أصبحوا موضع نزول آيات «هل أتى».

---

١. سورة الشورى، الآية ٨.
٢. المناقب، ج ٣، ص ٩٩؛ البرهان، ج ٩، ص ٣٢٩.

ونقول في الزيارات متوجهين إلى هؤلاء الأعزاء والأعزاء عند الله تعالى:

فما أحلى أسمائكم؛

وأكرم أنفسكم؛

وأعظم شأنكم؛

ومقامكم المحمود؛

ووعدكم الصادق؛

وكلامكم من نور وأمركم فلاح؛

وأفعالكم خيرا وعاداتكم البرّ والإحسان؛

وأساليبكم الكرم وشأنكم الحق والصدق؛

قولكم الحكم والحتم ورأيكم العلم والحلم والحكمة؛

وأنتم حجج الله الجبار...؛

إننا نقرأ «الزيارة الجامعة الكبيرة» لزيارة المعصومين، عليهم السلام، لانهم نور واحد وفي جميع الصفات والكمالات، أصحاب أكمل المراتب، نسبة إلى جملة الخلائق الملكية والملكوتية. إنهم أصحاب النعمة وأمان الأرض والزمان، واسطة الفيض الإلهي ومساعدة العباد في كل أمور هذه الدنيا وتلك الدنيا.

وبهذه الأوصاف، كيف يمكن لنا أن ندخل في معاملة وصفقة من منطلق الجهل وبدلا من أن نكون في خدمتهم، نطلب منهم بكل ما يملكونه من عظمة، أن يكونوا في خدمتنا؟

وكيف نحجم عن بذل المال والإعتبار والمصداقية من أجلهم، وفي الوقت ذاته ندخل في خدمة أخساء ولا نتوانى عن بذل كل ما نملك من أجلهم؟ إن سر الجزء

الاكبر من المآزق والأزمات التي تحدث في حياتنا الفردية والإجتماعية يعود الى صفقتنا غير المنصفة مع أهل البيت، عليهم السلام واستغنائنا عنهم.

إن وجها من سر التأخير الطويل للواقعة الشريفة للظهور الأكبر لصاحب الزمان، عليه‌السلام، وابتلاءنا العام باضطرار واضطراب عصر الغيبة، يعود إلى انفصام عهدنا عن إمام الزمان، عليه‌السلام، وعدم الدخول في خدمته.

وإن سر تغلب أبناء ابليس بالتبني في ساحات الحياة الثقافية والحضارية للمستضعفين والمسلمين، يعود إلى عدم جعل رأي وحكم أهل البيت، عليهم السلام أساسا ومحورا وعدم إعتبار قولهم مقياسا للعمل، في مجمل أمورنا المادية والثقافية.

ولا سبيل أمامنا - من أجل الخروج من الاضطرار والاضطراب في آخر الزمان - سوى الرجوع إليهم ودرك هذا المعنى.

ولا مفر أمامنا، سوى أن نعلن من عمق وجودنا:

أيها المجتبون وأيها الأعزاء؛

إن من يعرض عنكم، يخرج عن الدين؛

وإن من لا يسايركم ويماشيكم، يهلك؛

لانه «والْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَاِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ».[١]

---

١. الزيارة الجامعة.

◆ الفصل الرابع

- **الحسين، عليه‌السلام، سفينة النجاة**

مكانة الإمام الحسين، عليه‌السلام

إن الدنيا التي تحمل في طياتها صفة الدنو[1] والدناءة، تبدو لأهل الدنيا جميلة وبالتالي يضفون عليها الأصالة. ويعتبرونها خالدة وباقية ويطلبون حلوها وجميلها. لذلك فان مواجهة الصعوبات والمعاناة والألم، يعتبرونه التعاسة بعينها فيما يعتبرون التمتع الدنيوي بانه السعادة ذاتها.

وثمة قصيدة منسوبة إلى الإمام علي، عليه‌السلام، إذ يقول:

إنَّما الدُّنيا فَنَاءٌ	ليس للدنيا ثبوت
إنّما الدُّنيا كَبَيْت	نسجتهُ العنكبوت
وَلَقَدْ يَكْفِيکَ مِنْهَا	أيها الطالب قوت
و لعمرى عن قليلٍ	كُلُّ من فيها يموتُ

وفي المقابل فان أهل العقبى، يسألون الله في خوف تام، بالا يجعل مصيبتهم في دينهم وألا يجعل الدنيا أكبر همهم:

---

١. الدنيا، هي من مادة الدنو، أي «القرب». ويقول البعض أنها من مادة «الدنئ» أي الخسيس الدون.

«اللهُمَّ لا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنا فى دِينِنَا ولا تَجعَلِ الدُّنيا أَكبَرَ همِّنا ولا مَبلَغ عِلمِنا ولا تُسَلِّطْ عَلينَا مَن لا يَرحَمُنَا»؛[١]

وأما قول الشاعر:

كل من هو أكثر تقربا في هذا الحفل

يعطونه مزيدا من كأس البلاء

وهو ترجمة شاعرية لعبارة «**البلاء للولاء**».

فالبلاء والإبتلاء هما بمعنى الإختبار والإمتحان. والإختبار هو في زمرة السنن الإلهية التي تطبق على جميع البشر من الأولين إلى الآخرين لكي تتميز صورة المطيع عن العاصي والمدعي عن الصديق، وينال كل مكافأته وجزاءه حسبما يقدم في هذا الميدان ويشهد سعادته أو شقاءه الدنيوي والأخروي.

وإن غضضنا الطرف عن صورة البلاء والصعاب، فان تحمل الألم والمعاناة والشدائد من أجل المعشوق والتقرب إليه، يميط اللثام عن مدى صدق العاشق كما أن قيمة ومنزلة المعشوق تتبين بقدر تحمل الألم والمعاناة من قبل العاشق، لذلك فان البلاء هو لطف من قبل الخالق الرحيم تجاه عباده حتى يتاح للعاشق في ظل تجربة الرضا والتسليم، مجال الإرتقاء والتقرب ونيل الكمالات.

وإضافة إلى ذلك فان حضرة المحبوب، يوجه كل همة وتفكير من يحبه إليه ويخفض من اهتمامه بما سوى الله.

و يقول الإمام الحسين، عليه‌السلام، حول عبيد الدنيا:

---

١. مفاتيح الجنان.

«النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا، والدِّينُ لَعِقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون»؛[١]

وفي المقابل فان أصحاب المعرفة، لا يفرون من البلاء فحسب بل يعتبرونه علامة على العناية الإلهية وسببا لطهارة النفس وتزكية الروح ويهرعون لاستقباله.

ويقول الإمام الصادق،عليه‌السلام:

«... إذا أحَبَّ عَبداً غَتَّهُ بِالبَلاءِ»؛

ويثني الإمام الحسين بن علي، عليهما السلام، في «يوم عاشوراء» في مناجاة في آخر لحظات حياته على الله تعالى لنعمائه وحسن بلائه، إذ يقول:

«سَابِغُ النِّعمةِ، حَسَنُ البلاءِ»؛[٢]

وفي «يوم عاشوراء» وهو يودع أهل بيته، عليهم السلام، يحثهم على تحمل البلاء ويقول «**استعدوا للبلاء**» و يضيف:

«واعلموا أنّ الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذِّب عدوّكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النّعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم».[٣]

إن من لا يريد من الدنيا سوى التنعم والرخاء ويعتبر الموت بداية للظلام والفناء، فانه لا يعرف العذاب الا بالمعاناة ولا يعرف النعمة إلا بالأكل والنوم والشهوة.

---

١. تحف العقول، ص ٢٤٥.
٢. مقتل الحسين، مقرم، ص ٣٥٧.
٣. موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص ٤٩١.

فمنزل الفلاح وجنة الخلد ومجمل النعم المعنوية التي لا تعد ولا تحصى، وضعت لمن نجا من دار الابتلاء ويقف بقلب سليم أمام حضرة الحق، وإن كان سوى هذا، لما كان يمكن التمييز بين الشهم والدنئ.

ونقرأ في الآيتين ١٥ و ١٦ من «سورة الفجر»:

«فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ»؛

ففي «ساحة عاشوراء» يتم عرض وجه أكثر أبناء آدم تألقا، في أوج البلاء، وكل مراد رب الكون من خلق الإنسان هو ما قال بشأنه: «**ولَقَد كَرَّمْنا بَني آدَمَ.**»[1] وكل الإيثار العاشق الوحيد الذي تجرع من أجل المعشوق أول وآخر كأس البلاء حتى آخر قطرة، وكأنه أراد أن يقول:

يجب الذهاب تحت ظلال سيف غمهفمن قتل من أجله ستكون عاقبته الحسنى

إن العاقبة الحسنى، هي القبول والتقرب عند حضرة المحبوب، بجسد ممزق بسيوف ورماح البلاء وشفة مبتسمة وروح حمراء، ولهذا فان الحسين، عليه‌السلام، يظهر في مقام القرب والتقرب في شأن «ثارالله».

ولم يحرز هذا المقام، أي من الأنبياء والأوصياء والأولياء الإلهيين «**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**»[2]

إن من ينظر كزينب الكبرى، عليهاالسلام، إلى العالم من منظار الحسين‌بن علي،عليهما السلام، تقول ردا على شماتة يزيد واليزيديين، بعد واقعة «عاشوراء»:

---

١. «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا». سورة الإسراء، الآية ٧٠.
٢. سورة النجم، الآية ٣٩.

«ما رَأيتُ إلاّ جَميلا».[١]

ويقدم مولانا في كلامه الشاعري وسعة وجود الإنسان في ظل البلاء والإبتلاء و يقول:

إن جاءك أي جرح من السماء

فانتظر بعدها خلعة تأتيك

فربنا ليس ذلك الإله إن وجه صفعة

لا يمنحك عرشا من منطلق الكرامة

إن الدنيا وما فيها لا تساوي جناح برغوثة

بل أن الصفعة هي بمثابة رشوة لا تنتهي

وإن حلت البلايا بالأنبياء لكنها

ترفع رأسهم في عالم العليين

و بتقديره، فان ثمة حكمة تكمن في أي بلاء و ابتلاء و إن رحمة كبيرة تصل إلى الصابر في البلاء.

إنه يقبض نصف روح ويعطي مائة روح

ويعطي ما لم تتصوره حتي في الوهم

طاقة البلاء و مكانة الإمام الحسين، عليه‌السلام

أي أحد سوى الله سبحانه وتعالى والمعصومين، عليهم السلام، غير قادر على تحديد مقام ومكانة أبي عبد الله الحسين، عليه‌السلام وعظمة ملحمة صحراء «نينوى». وجاء في الرواية:

---

١. بحارالأنوار، ج ٤٥، ص ١١٦.

«إِنَّ الْحُسَيْنَ (سلام الله عليه) صَاحِبَ كَرْبَلاءَ قُتِلَ مَظْلُوماً مَكْرُوباً عَطْشَاناً لَهْفَاناً فَآلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لا يَأْتِيَهُ لَهْفَانٌ وَلا مَكْرُوبٌ وَلا مُذْنِبٌ وَلا مَغْمُومٌ وَلا عَطْشَانُ وَلا مَنْ بِهِ عَاهَةٌ ثُمَّ دَعَا عِنْدَهُ وَتَقَرَّبَ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ؛ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاّ نَفَّسَ اللَّهُ كُرْبَتَهُ وَأَعْطَاهُ مَسْأَلَتَهُ وَغَفَرَ ذَنْبَهُ وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ وَبَسَطَ فِي رِزْقِهِ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ»؛[1]

وذكر في الكثير من المصادر، بما فيها «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» أن لزيارة الامام الحسين، عليه‌السلام، ثوابا كبيرا. وكل هذا الخارج عن طاقة وسعة دركنا واستنباطنا، يعود إلى طاقة البلاء والابتلاء العظيمة لصحراء «كربلاء». وتشير «زيارة عاشوراء» في عقدة مواقع، إلى عظمة المصيبة والعزاء على الحسين، عليه‌السلام.

«يَا أَبَا عَبْدِاللّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرّزِيّةُ وَجَلّتْ وَعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ بِکَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ»؛[2]

ويعطي الله سبحانه وتعالى ثوابا كبيرا وأجرا جزيلا لزيارة الحسين بن علي، عليهما السلام. وهذا يعود إلى عظمة مصيبة الامام الحسين، عليه‌السلام وعظمة مقامه ومنزلته باعتباره «ثار الله» لدى الله تعالى. ولهذا إعتبر الامام الحسين، عليه‌السلام، بانه مصباح الهدى وسفينة النجاة.

---

١. بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٤٩ ح ٥.
٢. زيارة عاشوراء.

ثواب زيارة قبر الإمام الحسين، عليه‌السلام

١. عن الحسين بن محمّد القمّيِّ، عن أبى الحسن الرِّضا **عليه‌السلام** «قال : مَن زارَ قبر أبى عبدالله **عليه‌السلام** بشطّ الفُرات كان كمن زار الله فوق [فى] عَرشه»؛[١]

٢. «عن أبى عبدالله، **عليه‌السلام**، قال: مَن أتى قَبرَ الحُسين، **عليه‌السلام**، عارِفا بِحقهِ كَتَب الله عزوجل لهُ فى عِلّيّين»؛[٢]

٣. ومن رحمة الله على زائر الامام الحسين، عليه‌السلام، هو أن الله سبحانه وتعالى يعتقه من نار جهنم. جهنم التي وصفها الله تعالى في «سورة مريم» الآية ٧١:

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّکَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»؛

لكن الله الرحيم، يعتق برحمته الخاصة، زوار الامام الحسين، عليه‌السلام، من شرر نار جهنم. كما قال الامام الصادق، عليه‌السلام، لحذيفة بن منصور:

«مَن زارَ قبرَ الحُسين لله وفى الله أعتقَهُ الله مِن النار، وآمنَهُ يومَ الفَزَعِ الأكبَر، ولم يسأل الله حاجة مِن حَوائج الدُّنيا والآخرة إلا أعْطاه»؛[٣]

٤. عن الحسين‌بن محمّد القمّي قال: قال أبو الحسن موسى‌بن جعفر عليهماالسلام :«أدنى ما يُثاب به زائر الحسين عليه‌السلام بشطّ الفُرات إذا عَرَفَ بحقّه وحُرمَتِه وولايتِه أن يُغْفَرَ له ما تَقَدّم من ذَنْبِه وما تأخّر»؛[٤]

---

١. وسائل الشيعة، باب ٣٧، ح ٥.
٢. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٨١.
٣. وسائل الشيعة، ص ٣٩٠، باب ٦٤، ح ١٠.
٤. مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ٢٣٩ نقلا عن كامل الزيارات، ص ١٣٨.

في علو قمة القرب

إنَّ الحُسين مِصباحُ الهُدى وسَفينةُ النّجاة

وقد جاء في المصادر الروائية:

«وإنّه لمكتوب على يمين عرش الله عزوجل: مِصْباح هادٍ وسَفينة نَجَاة»؛[١]

وهل نظرتم يوما إلى منارة هداية السفن والملاحين، إذ توضع في أعلى مكان قرب البحر، لكي يهتدي بها الملاحون ليلا، ويعرفون بواسطتها اتجاه الشاطئ.

إن تمثيل مصباح الهدى وسفينة النجاة، هو تمثيل المنارة المذهلة لقائد صحراء «نينوى» لتضئ في الظلام الدامس بين أمواج الظلم الجور، لكي يهتدي بها الخلق في «بحر الشبهات» ويتجهون نحوها وينجون من التيه والحيرة.

فقد استقر الحسين بن علي، عليهما السلام، في أرفع وأعلى قمة القرب والهداية، وهذا المقام هو مقام كبير أعطي له بعد صبره على المحنة والبلاء.

وثمة حديث نقل عن الرسول الاكرم(ص) في هذا الخصوص إذ يقول:

وإنّه لمكتوب عن يمين عرش الله عزوجل: «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»؛[٢]

ولهذا السبب اعتبرت واقعة عاشوراء بانها منعطف. وفي ظلها يصل الزائر إلى بر الأمان ويتخلص من صحراء الدنيا وهجمة جنود إبليس.

ونقل عن الإمام علي بن موسى الرضا، عليه‌السلام:

---

١. الطبرسي، أمين الاسلام، فضل بن حسن، أعلام الورى، ص ٤٠٠.
٢. ثقافة عاشوراء، نقلا عن سفينة البحار، ج ١، ص ٢٥٧.

«كُلُّنا سُفُنُ النجاة والحُسينُ أسْرَعُ مِنّا»؛[١]

إن التداوم على الزيارة وابداء التأدب عند عتبة الحسين بن علي، عليهما السلام، له بركات خاصة، وحلال للكثير من المشاكل المادية والمعنوية.

وفيما يخص اللقاء مع ولي العصر، عليه‌السلام، ثمة موانع وعوائق كثيرة، لكن وكما يقول العديد من الأولياء، فان هذه الموانع تزول عن طريق زيارة أبي عبدالله الحسين، عليه‌السلام. ويوصي آية الله وحيد خراساني (دامت افاضاته) باتباع التعليمات التالية كوسيلة سهلة للوصول إلى ساحة حضرة بقية الله، عليه‌السلام:

ومن أجل الوصول إلى ساحة حضرة بقية الله، عليه‌السلام، يجب قراءة زيارة عاشوراء كل يوم، من دون أن تترك منذ هذا اليوم... واهدوها للروح الطاهرة لأم إمام العصر، عليه‌السلام، السيدة الزهراء، عليها السلام، لكي تجدوا بهذه الوسيلة طريقا إلى حضرة الحجة، عليه‌السلام، عن طريق الرحمة الإلهية الواسعة وباب نجاة الأمة والموجه قلبه نحو إمام الزمان، عليه‌السلام، وولىّ دمه.[٢]

ويقول العلامة طباطبائي(رض) بان استاذه في العرفان، آية الله سيد علي آقا قاضي طباطبائي (رض) كان يقول:

فان حققنا انجازا ومكسبا، فبفضل القرآن والتوسل إلى سيد الشهداء، عليه‌السلام. وينقل الشيخ عبد الكريم حافظ عن سيد عبد الكريم كفاش بانه كان يتشرف بلقاء المولى كل اسبوع، سئل، ماذا فعلت حتى نلت هذا الشرف؟ قال:

---

١. نقلا عن كتاب «حلم اللقاء»، حجة الاسلام مرتضى اقاطهراني، ص ٨٨.
٢. عبدالمهدي، حسين، طريق وصال إمام الزمان(ع)، ص ١٣٤؛ حلم لقاء الصديق، ص ٩٢.

رأيت في منامي ليلة جدي خاتم النبيين، صلى الله علية وآله وسلم، طلبت منه لقاء مع إمام العصر، عليه‌السلام، فقال: ابكي مرتين في اليوم لولدي سيد الشهداء، عليه‌السلام». فاستفقت من نومي وطبقت هذا البرنامج لمدة عام، حتى نلت شرف لقاء حضرة إمام العصر.[١]

ويقول الحاج اسماعيل خان دولابي، أعلى الله مقامه الشريف، بعد تبيان طريقة سيره وسلوكه:

على أي حال، فان كل العناية التي نلتها، كانت من بركات الإمام الحسين، عليه‌السلام. ويمكن الوصول إلى الوجهة عن طريق سائر الأئمة، عليهم السلام، لكن طريق الإمام الحسين، عليه‌السلام، يوصل الإنسان الى النتيجة بسرعة كبيرة، لأن سفينة الإمام الحسين، عليه‌السلام، تجري بسرعة في سماوات الغيب. ومن بدأ في مساره المعنوي، حركته من الإمام، سينال غايته، سريعا جدا.[٢]

قال النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِى فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ دَخلَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»؛[٣]

إن المعصومين، عليهم السلام، كلهم «نور واحد» وسفينة النجاة، لكن ورد خطاب «**سفينة النجاة**» بشأن إثنين من تلك الذوات المقدسة في الأدعية والزيارات والروايات.

«... اَلسَّلامُ عَلَيْکَ يا سَفينَةَ النّجاةِ، اَلسَّلامُ عَلَيْکَ يا عَيْنَ الْحَياةِ»؛[٤]

---

١. حلم لقاء الصديق، ص ٨٩؛ موسوي مطلق، سيدعباس، عناية امام الزمان(عجل الله تعالى فرجه) بالإمام الحسين، عليه‌السلام ومحبيه، ص ٤٤.
٢. حلم لقاء الصديق، ص ٨٩.
٣. جويني خراساني، فرائد السمطين، ج ٢، ص ٢٤٦.
٤. مفاتيح الجنان.

وجاء في زيارة أخرى نقلها المغفور له سيد بن طاووس (رض):

«... الْوَلِيِّ النّاصِحِ، سَفينَةِ النَّجاةِ وَعَلَمِ الْهُدى وَنُورِ اَبْصارِ الْوَرى»؛[١]

إسمحوا لي أن أقول، أن سفن النجاة هذه، أي مؤشري الهداية ـ حضرة الحسين بن علي، عليهما السلام، والإمام المهدي، عليهالسلام، هما في منعطفين تاريخيين هامين، ناجيان وهاديان لجملة الخلق والعصر، من بين المستضعفين المضطرين الذين يوفرون مجال «التقرب» التام إلى الساحة الربوبية من خلال إزالة جميع العتمة من حياتهم المادية والثقافية وحذف جميع العقبات، لكي تتحقق «الخريطة الإلهية العامة» التي ما هي إلا تقرب الإنسان ـ قبل القيامة الكبرى-.

١. المصدر السابق.

مدى التقرب

«وَلا جَعَلَهُ اللهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنّى لِزِيارَتِكُمْ»

ربما أن قولنا هذا هو كلام إستنتاجي شخصي ونابع من الذوق. وعندما ينتهي شهر صفر وأربعن الإمام الحسين، عليه‌السلام،، ندخل في شهر ربيع الأول حيث بداية إمامة ولي العصر، عليه‌السلام، وكأن ترابطا وتواصلا بين آخر فصل من العزاء، بداية عصر زيارة أبي عبد الله الحسين، عليه‌السلام، وشهر «ربيع». ونقرأ في هذا الخطاب متوجهين إلى إمام الزمان، عليه‌السلام:

«السَّلامُ عَلَى رَبِيعِ الْأَنَامِ وَنَضْرَةِ الْأَيّامِ»؛

ومع «الأربعين» يتصل الزائر ببداية إمامة حضرة ولي العصر، عليه‌السلام، لكي يتصل تيار «عاشوراء» والنهضة غير المكتملة بالتيار المكمل وصاحب النتيجة النهائية لنهضة حضرة صاحب الزمان، عجل الله تعالى فرجه، وكما قلت فان هذا الكلام قد يكون كلاما إستنتاجيا وتأويليا شخصيا.

وكانت مجمل محاولات بني أمية وأعداء الأديان والإنسان، منصبة على دفن ما حل بالامام الحسين، عليه‌السلام، وأسرته الطاهرة في «كربلاء» عام ٦١ للهجرة، في حين أن المعصومين، عليهم السلام، عملوا من خلال احياء وحفظ سنة العزاء

لاسيما في أيام «محرم» و «صفر»، على إخراج «عاشوراء» و نهضة الامام الحسين، عليه‌السلام، من نطاق عام ٦١ للهجرة وساحة «كربلاء» وتحريكها في ساحة التاريخ، لكي يتم بذلك التعرف على الامام الحسين، عليه‌السلام وبتبعه حسين الزمان، عليه‌السلام.

إن إحياء نهضة عاشوراء وشرح الظلم الذي مورس على أهل البيت، عليهم السلام، هو بمثابة تذكير مهم حول ضرورة العودة إلى «الحسين وامام العصر والزمان». ولهذا فانه ومنذ السنوات الاولى من البعثة، قال النبي الاكرم، صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ ماتَ وَلَمْ يَعْرِف إمامَ زَمانِهِ ماتَ مِيتة جاهِلية»؛[1]

عن أبان بن تغلب صحابي الإمام الصادق، عليه‌السلام، قال: قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام: من عرف الائمة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه أ مؤمن هو؟ قال: لا، قلت: أ مسلم هو؟ قال: نعم»؛

أي إن من لم يعرف إمام زمانه فانه يكون قد بقي في «كربلاء» وعام ٦١ للهجرة، وإن كان محبا للامام الحسين، عليه‌السلام، ويقيم مجالس العزاء عليه كل سنة، فانه باق في الماضي ولم يخرج من صحراء «نينوى»، في حين كان مقررا أن تجتاز «عاشوراء» الزمان والمكان وأن تجري [وتخلد] في التاريخ.

إن السفير الجدير والمبلّغ لنهضة الامام الحسين، عليه‌السلام، وكربلاء، هي زينب الكبرى، عليها السلام. هي التي رأى فيها أثناء خطابتها، المشاهدون هيئة وصولة أبيها الكريم، علي بن أبي طالب، عليه‌السلام.

---

١. بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٦٨.

لذلك فان معرفة الإمام هي ضرورية ومقدمة للقرب من الإمام، عليه‌السلام. ومن دون هذه المعرفة الضرورية فان القرب لن يتحقق.

والقرب، طيران الطير بجناحي التولي والتبري، نحو العنقاء المقيمة على جبل الإمامة والولاية.

إن المعرفة تشكل الشرط اللازم لطي الطريق في الصراط، وإلان فان السالك، ورغم امتلاكه الجناحين، ستطأ قدماه طريق الضلال ويهلك، أثناء بروز الشبهات. لذلك فان المعرفة، ضرورية لهذا السير والسفر المهم. وطوال التاريخ، وكما اليوم فان الامة الاسلامية، بجلت ومجدت وخدمت أمراء بني أمية الظالمين وحتى أنها حاربت في جيشه، من دون أن تعلم بانها اتبعت فاسدا وجائرا وظالما وملحدا ومشركا وحتى من نسل اليهود.

وألا يحكم أبناء اليهود بالتبني في «السعودية» و «قطر» و... كولي الأمر وخليفة المسلمين، ويُطاعون من قبل المسلمين؟ ولديهم التولي والتبري في الوقت ذاته.

وثمة شبان يزنرون أنفسهم بالأحزمة الإنتحارية الناسفة من أجل ارضاء أمير «الحجاز» ويظنون أنهم يجاهدون ضد الكفار. ويعتبرون من منطلق الجهل وانعدام العقل، الشيعة وتابعي أهل البيت، عليهم السلام، كفارا ويحتسون كؤوس الصداقة مع بني اسرائيل وقادة الشرك والكفر والنفاق، في الغرب. وينحنون في الوقت ذاته إجلالا واكبارا أمام شارب خمر فاسد وفاجر وعضو مجمع مالطا والمحافل الماسونية الخفية وعبدة الشيطان.

ويسأل الزائر في «المنظومة الفكرية والعقائدية العاشورائية» الباري تعالى أن يكرمه بمعرفة أولياء الله ويقول:

«فَاَسْأَلُ اللهَ الَّذى أكْرَمَنى بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ اَوْلِيائِكُمْ وَرَزَقَنِى الْبَراءَةَ مِنْ اَعْدائِكُمْ اَنْ يَجْعَلَنى مَعَكُمْ فِى الدُّنْيا وَالاْخِرَةِ»؛

القرب، مبتغى النفس الإنسانية

القرب، لا يعنى القرب مكانيا، بل هو الغاية النهائية للحياة وضالة الإنسان.

فالقرب، هو مبتغى النفس الإنسانية، وأن الانسان يولد في الحقيقة للسير في المراتب والوصول إلى «القرب إلى الله».

إن القرب هو في مقابل البُعد. فالقرب هو حصيلة السير في المراتب الوجودية والكمالية. وحيث لا يوجد القرب، يحل البعد.

ويرسم الشاعر **مولوي بلخي**، قصة السير الاستكمالي للإنسان من أدنى مراتب الجماد إلى السكنى في أعلى درجات القرب، في الابيات التالية:

لقد مُتّ من الجماد وذاع اسمي وصيتي ومن ثم مُتّ فانتقلت إلى مرحلة الحيوان

ومت من مرحلة الحيوان وتحولت إلى إنسان إذن لماذا يجب أن أخاف؟ ولم أخشى الموت والنقصان

وفي حملة أخرى، سأموت من مرحلة البشر لكي أصبح من الملائكة صاحب جناح

وفي مرحلة الملائك يجب أن أبحث أيضاكل شئ هالك إلا وجهه

ومرة أخرى أنتقل من مرحلة الملائك وأصل إلى تلك المرحلة التي لا يمكن تصورها حتى في الوهم

لذلك أصبح في العدم، العدم الذي يشبه الأرغنونوأقول إنا إليه راجعون

و «القرب إلى الله» عرفا، يعني «التخلق بالأخلاق الإلهية».

إن الإنسان، ناقص، قبل أن يسلك المراتب الوجودية ويكتسب الصفات الحميدة. ويُشاهد أحيانا في الصورة الظاهرية على هيئة إنسان لكنه يسير في المقام الباطني الجمادي والنباتي أو الحيواني. وكلما زادت هذه الصفات الوجودية، يصعد الإنسان من المراتب الدنيا إلى المراتب العليا، ويقترب أكثر من الله وصفاته المتعالية، إن الله هو الكمال المطلق وصاحب جميع مراتب التوحيد.

ولدى أهل المعرفة، فان دعوة جميع الأنبياء وتربية الأولياء، هي من أجل الإنتظام والإستقامة. ويقول عزيز نسفي:

إعلم أن دعوة الأنبياء وتربية الأولياء، هى من أجل أن يستقيم الظاهر، لانه طالما لا يستقيم الظاهر، لن يستقيم الباطن، لجهة أن الظاهر هو القالب والباطن هو الشئ الذى يُسكب فى القالب. لذلک فان كان القالب مستقيما، فان الشئ الذى يسكب فى القالب، سيكون مستقيما وإن كان القالب أعوجا، فان الشئ الذى يسكب فيه سيكون أعوجا... ».[١]

إن الإنسان ومن خلال اتصافه بالصفات الحميدة لا الظاهرية والتطهر من العيوب والنواقص النفسانية، يبلغ المقامات المعنوية.

ولدى أهل السير والسلوك، فان القرب هو قرب العبد إلى الحق، عن طريق المكاشفة والمشاهدة. ويقول مؤلف «مجمع السلوك»: إن القرب لدى الصوفية،

١. نسفي، عبد العزيز، الإنسان الكامل، تصحيح ماريجان موله، ص ٨٨.

عبارة عن قرب العبد إلى الحق، سبحانه وتعالى بواسطة المكاشفة والمشاهدة و «البُعد» عبارة عن بعد العبد عن المكاشفة والمشاهدة.

وجاء في «خلاصة السلوك»:

«القرب هو الإنقطاع عن غير الله وقيل الطاعة، كما قيل بان القرب هو أن يكون القلب قريبا إلى المحبوب».

كما جاء في «التحفة المرسلة»:

القرب، نوعان: ١- قرب النوافل وهو زوال الصفات البشرية وظهور الصفات الربوبية على البشر، بحيث يمكنه باذن الله أن يُحيي ويُميت ويسمع المسموعات من بعد ويرى المبصرات من بعد، وهذا المعنى هو فناء الصفات في صفات الحق تعالى وهو نتيجة وثمرة النوافل؛ ٢- قرب الفرائض هو الفناء الكلي للعبد، بحيث أن أي موجود لا يرى حتى وجوده، وألا يكون في نظره سوى وجود الحق وهذا المعنى هو فناء في الله وثمرة الفرائض.[١]

إن عموم الأعضاء والجوارح كالعين والأذن تتجه نحو الضعف والهزال على أثر التعود والأنس بالعالم المُلكي، وتفقد المقدرة على مشاهدة الحقائق. لكن الأعضاء تستعيد قوتها ومقدرتها مع الزمن على أثر القيام بالواجبات والمستحبات وترك المحرمات و....

إن وادي قرب الفضائل والنوافل[٢] هو وادي العبودية لله. وادي العشق وطريق حب الله والذي يتحدث عنه أهل المعرفة.

---

١. وحيديان، صادق، رسالة القرب الإلهي، تحت اشراف الدكتور حسين شاهرودي.
٢. وتطلق النافلة اصطلاحا على الصلوات المستحبة في النهار والليل.

حقيقة التولّي

إن القرب إلى الله، يحدث عن طريق مثلث القرب (المعرفة والتولّي والتبرّي) والتولي لولاية الأولياء الإلهيين. إن التولي بمفرده ليس يعني المحبة فحسب، بل يعني الإخلاص أيضا.

فطالب القرب، يصبح مخلصا في التولي نسبة إلى ولي الله وكثرة الطلب منه، ويتقرب اليه. إن ولي الله الأعظم يتولى باذن الله وبدليل تقربه الخاص، توجيه مجمل التاريخ الإنساني ويمتلك إمكانية التصرف في جميع الأمور بسبب امتلاكه الولاية التامة.

لذلك فان ولي الله، ليس مرشدا وعارفا بطريق القرب، فحسب بل يأخذ بيد الإنسان إلى الوجهة النهائية. إنه إنسان متكامل اختير لتوجيه الناس وهو واسطة فيض رب العالمين وهمزة الوصل بين الدنيا والآخرة. ونقرأ في دعاء الندبة:

«اَيْنَ السَّبَبُ الْمُتّصِلُ بَيْنَ الاَرْضِ وَالسَّماءِ»؛

إنه خليفة الله، ومعدن كلمات الله، وصاحب الإسم الأعظم ووليّ الله. وقد بينت في «نهج البلاغة» ميزات وخصائص هذا الولي المختار من قبل الله.

إن ولي الله، يكتسب أعلى مراتب الصفات الكمالية وأقل مسافة إلى الله جل جلاله. ولا يصل إليه أحد في مقام التقرب، لذلك لا يفوقه أحد في مؤازرة عباد الله، فضلا عن لا أحد قادرا على الوصول إلى رتبته في مرتبة القرب.

وسائر الكائنات تتحرك صوبه في ميدان السباق الكبير وبصفة خاصة، سالكو الطريقة وطالبو القرب يذهبون إليه مستعنين به. ومن أجل الوصول إلى القرب،

يجب سلوك أقرب الطرق وأكثرها استقامة. وكيف يمكن للمؤمنين أن يطلبوا على مدار اليوم في سبع عشرة ركعة وعشر مرات من الله تعالى إن يسيروا على الصراط المستقيم، ويتضرعون **«اهدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقيم»** لكنهم لا يعرفون هذا الصراط المستقيم؟!

ويقول القرآن الكريم متوجها إلى النبي الأكرم(ص):

«إِنّکَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ»؛[١]

وحسب قول رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، والروايات الواردة من المعصومين،عليهم السلام، فان هؤلاء الذوات المقدسة، هم نور واحد.

ونقرأ في الأدعية والزيارات متوجهين إليه:

«وَاَنّ اَرْواحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطينَتَكُمْ واحِدَةٌ، طابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُها مِنْ بَعْض»؛[٢]

ويُعرّف أهل البيت، عليهم السلام، على لسان الأئمة المعصومين، عليهم السلام، وعن قول أمير المؤمنين علي، عليه‌السلام:

«الأَسْرَارُ اللَهِ المُودَعَةُ فِي الهَيَاكِلِ البَشَرِيِّة»؛[٣]

وللإمام علي، عليه‌السلام، قول في باب القرب إلى الله. فقد نقل الشيخ الصدوق (رض) عن الإمام الصادق عن أمير المؤمنين علي، عليه‌السلام قال:

«أنا عِلْمُ الله، وأنا قَلْبُ الله الواعي، ولِسانُ الله الناطِقُ، وعَيْنُ الله الناظِرَةُ، وأنا جَنْبُ الله، وأنا يَدُ الله...»؛[٤]

---

١. سورة الزخرف، الآية ٤٣.
٢. الزيارة الجامعة الكبيرة.
٣. مشارق الأنوار، ص ٦٩.
٤. التوحيد، ص ١٦٤، ح ١؛ بحارالأنوار، ٩٨، ص ٢٣، ح ٢٥.

وعن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه‌السلام: «أيّما أفضل الحسن أم الحسين؟ فقال:... **خَلْقُنا واحِدٌ، وعِلمُنا واحدٌ، وفَضْلُنا واحد، وكُلُّنا واحدُ عند الله عز وجل**»؛[١]

وفي رواية أخرى، قال الإمام الكاظم، عليه‌السلام:

«نَحْنُ فِي الْعِلْمِ وَ الشَّجَاعَةِ سَوَاءٌ وَ فِي الْعَطَايَا عَلَى قَدْرِ مَا نُؤْمَرُ»؛[٢]

ولهذا السبب، يمكن بهذا الطريق المستقيم، المؤيد بالتأييدات الإلهية، الوصول إلى «القرب» بسرعة ومن دون فوات الأوان.

ويقول الإمام الصادق، عليه‌السلام:

«والله نَحْنُ الصِّراطِ المُستَقيم»؛[٣]

إن الأئمة المصعومين، عليهم السلام، أشاروا بشكل ما إلى مقامهم الإلهي الشامخ. ويقول الإمام الباقر، عليه‌السلام:

«نَحْنُ الطَريقُ الواضِحُ، والصِّراطُ المُسْتَقيمُ إلى الله عَزَّ وجَلَّ»؛

ويقول إمام المتقين، علي، عليه‌السلام:

«أنا صَراطُ اللهِ المُسْتَقيمُ وعُرْوَتُهُ الوُثْقى التى لا انْفِصام لَها»؛

وعندما نطلب في الصلاة الهداية إلى الصراط المستقيم، فاننا نسأل الله تعالى أن يهدينا في الحقيقة إلى صراط أمير المؤمنين، علي، عليه‌السلام، لنحصل مجال القرب إلى الله.

إن الذهاب إليه هو أقرب سبل التقرب. لكننا وللأسف نسلك الطريق غير القويم، وبدلا من سلوك صراط الله وباب الله، ندخل بستان النعمة والخيرات مثل السارقين

---

١. كتاب الغيبة، النعماني، ص ٨٩ ح ١٦؛ بحارالأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٣، ح ٢٣.
٢. بصائر الدرجات، ص ٥٠٠، ح ٣؛ الكافي، ج ١، ص ٢٧٥.
٣. تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ١٠.

من خلال تسلق الجدران. وقد بينت ميزات وخصائص أهل البيت، عليهم السلام، على لسان أمير المؤمنين، عليه‌السلام.

معايير وليّ الله

إن معايير وليّ الله، من وجهة نظر «نهج البلاغة» هي:

١. وليّ‌الله، قطب عالم الإمكان؛

«أَنّ مَحَلِّی مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرّحَی»؛[١]

٢. إنسان متكامل، جامع جميع العلوم؛

«يا كميل!...هَا إنّ هَهُنا ـ وأشار بيده إلى صَدْرِهِ ـ عِلْماً لو أَصَبْتُ لَه حَمَلَةً![٢]

٣. إنه خليفة الله؛

«أولئک خلفاء الله فی أرضه، والدعاة إلى دينه»؛[٣]

٤. مؤيد بروح القدس؛

«أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ»؛[٤]

٥. حجة‌الله على عباده؛

«بَلَى! لاَ تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلّهِ بِحُجّةٍ، إِمّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وَ إِمّا خَائِفاً مَغْمُوراً»؛[٥]

٦. كمال عالم الوجود؛

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣.
٢. المصدر السابق، خ ١٤٧.
٣. المصدر السابق.
٤. السابق، خ ١٩٢.
٥. السابق، خ ١٤٧.

«فإنّا صنائع ربّنا والناس بعد صنائع لنا»؛[١]

وعلى سالك طريق الحق أن يمتثل لهكذا ولاية لنيل القرب الإلهي. وأن يضع قدمه في موطئ قدم حضرته وأن يستنير بنبراسه في الحركة نحو الكمال.

ومن وجهة نظر الإمام علي، عليه‌السلام، فان السالك لن يبلغ قمة العرفان والكمال الإنساني والمعرفة الحقيقية من دون إرشاد وتوجيه وليّ الله له.

«عليكُم بطاعةِ أئمّتِكُم؛ فإنّهمُ الشهداءُ عليكُم اليوم، والشُّفَعاءُ لكم عندالله غداً»؛[٢]

«وَ إِنّمَا اَلْأَئِمّةُ قُوّامُ اَللّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَ عُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ لاَ يَدْخُلُ اَلْجَنّةَ إِلاّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ وَ لاَ يَدْخُلُ اَلنّارَ إِلاّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ»؛[٣]

ويوصي الإمام علي، عليه‌السلام، السالكين إلى الله بأن طريق السلوك غير ممكن من دون الإمتثال للولاية، لذلك فان من ضلوا عن هذا الطريق سيهلكون. لذلك فان الولاية هي محور من المؤشرات العرفانية المهمة، وأن العارف من دونها كالسائر في الضلال.

«نحن الشِّعارُ والأصحاب، والسَّدَنةُ والأبواب، ولا تُؤتى البيوتُ إلاّ مِن أبوابها، ومَن أتاها مِن أبوابِها كان سارقاً لا تَعْدُوه العقوبة.»؛[٤]

وحسبما يقول الإمام الصادق، عليه‌السلام، انه إن أراد الله أن يُعرّف نفسه لعباده من دون وسيط [ذرية الوحي] لكنه جعل هؤلاء الأولياء، أبوابه وصراطه لكي يحصل ذلك عن طريق «ولايتهم».

---

١. السابق، الرسالة ٢٨.
٢. امدي تميمي، ١٤٠٧، ج ٢، ص ٢٦.
٣. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧.
٤. نهج البلاغة، خ ١٥٤.

إن الموهبة الوجودية لكل من العباد، لا تتمتع بامكانية القرب المباشر والوقوف أمام مظاهر جمال الله وجلاله، مثلما أن هذا المقدار من الكفاءة للتقرب المباشر، لم يتحصل لدى أي من العباد (بحيث أن كل واحد منهم يحيط نفسه بالالوف من حجب الظلام). وهذا يشبه أن أحدا يريد أن يقف فجأة أمام الشمس أو يقترب منها بلا وسيط ومن دون أداة، فانه سيحترق بلا شك. إن نسبة التقرب، تعود إلى نسبة الجهوزية واللياقة، لذلك، فان كلا من المقربين هو واسطة للمراتب فيما بعده في أمر التقرب، بحيث أن أسمى مخلوقات الله وأكثرها تقربا، أي الأولياء الإلهيين هم أكثر الوسطاء كفاءة لتلقي الفيوضات الربانية ووهبها للآخرين.

ويقول الإمام زين العابدين، عليه‌السلام:

«نَحْنُ أَبْوابُ الله و نَحْنُ الصَّراطُ المُسْتَقيم.»

◆الفصل الخامس

- **الواجب الزائر**

١. التحرك نحو الإمام (الواجب الأول)

وبعد تبيان ضرورة اكتساب المعرفة والمودة تجاه أهل البيت، عليهم السلام، بقصد التولي لهم والتبري من أعدائهم ومنكريهم، فان من واجب المؤمن التحرك نحو الإمام.

وقد حوّل شيعة أهل البيت، عليهم السلام، على مر الزمن، التحرك نحو الإمام وإعلان الجهوزية لتقديم الخدمة إلى «الجلوس» وأصبحوا يرفعون أيدهم أثناء الدعاء نحو السماء فقط ويبتهلون لمجئ الإمام، في حين أن ذهاب الإمام نحو الناس لم يرد في الأحاديث والروايات كواجب يقع على عاتق الإمام، عليه‌السلام، بل على العكس فان من واجب الناس، القيام والتحرك نحو الإمام، عليه‌السلام.

وقال رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، متوجها إلى الإمام علي، عليه‌السلام:

«مثلُ الأمام مثل الكعبة اِذْ تُؤتى ولا تأتى».[١]

إن سر طول سنوات غيبة إمام العصر، عليه‌السلام، يكمن في الفهم الخاطئ لموضوع الإنتظار. لقد ظننا أنه يجب أن ننتظر عودة وحركة الإمام. متجاهلين بان الإمام هو الذي ينتظر حركتنا وخطوتنا. كما أن الله تعالى ينتظر أيضا.

---

١. نورالثقلين، ج ١، ص ٢٢؛ معاني الأخبار، ص ٣٥.

إن الإمام، عليه‌السلام، ينتظر حركة الناس من جهة، وينتظر إذن الله للنهضة والإقدام من جهة أخرى، وإن إذن الله رهن بحركة الناس وإقدامهم، لدعوة الإمام واستقباله.

وطيلة سنوات حضور وحياة الائمة الإثنا عشر المنصوبين من حضرة الحق، فان الناس تحركوا مرتين فقط وفي عصر إمامين. الحركة الاولى تعود إلى توجيه الدعوة للإمام علي، عليه‌السلام، للخلافة وهو ما حدث بعد خمسة وعشرين عاما من ملازمة الإمام البيت، والمرة الثانية تمثلت في دعوة أهل الكوفة، للإمام الحسين، عليه‌السلام،. وفي كلا الحدثين فان الله شهد جفاء الداعين والإستشهاد المظلوم لكلا الإمامين.

وفي كلتا التجربتين، استجاب الإمامان المعصومان، عليهما السلام، لدعوة الناس، وسخرا جل طاقاتهما، وضحيا في نهاية المطاف بروحهما وأقربائهما.

ومن هنا، فان إعراض الناس عن الإمام وتجاهل حق الإمام وعدم نصرته، تسبب بان تكون الغيبة من نصيب جميع أيام وليالي السنوات الصعاب لجميع الكائنات.

ويقول رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَثَلُ عَلِيٍّ فِيكُمْ ـ أَوْ قَالَ: فِي هَذِهِ الأُمَّةِ ـ كَمَثَلِ الْكَعْبَةِ الْمَسْتُورَةِ، النَّظَرُ إِلَيْهَا عِبَادَةٌ، وَالْحَجُّ إِلَيْهَا فَرِيضَةٌ».[1]

إن الإمام هو كالكعبة، الحج إليها فريضة.

---

١. بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ١٩٩.

وفي كل زمان، فرض على الناس أن يوفروا العِدة والعُدة وأن يتوجهوا نحو بيت الله الحرام، لتأدية فريضة الحج.

ويقول إبن أبي الحديد المعتزلي في «شرح كلام الإمام» في «الخطبة ١٧٢»: لقد ورد هذا المضمون في الأخبار المتواترة التي نقلت عن الإمام، عليه‌السلام، من أن الخلافة والإمامة هي حق خاص لأمير المؤمنين، عليه‌السلام».

ومن ثم يورد الحالات التالية:

١. مَا زِلْتُ مَظْلُوماً مُنْذُ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه حَتَّى يَومِ الناسِ هَذا؛[١]

٢. اَللَّهُمَّ اَجْزِ قُرَيْشاً، فَاِنَّها مَنَعَتْنِي حَقّي، وَ غَصَبَتْني اَمْري؛[٢]

٣. فَجَزَى قُرَيْشاً عنِّي الجَوازِي، فإنّهم ظَلَموني حَقّي، واغتَصَبوني سُلطان ابْنِ أُمّي؛

٤. لقد سمع الإمام صوت مظلومية أحد فقال له:

تعال نتظلم معا، لأني كنت مظلوما دائما؛

٥. وقال حول إبي بكر:

«وَ إنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنْ مَحَلّي مِنْهَا مَحَلُّ اَلْقُطْبِ مِنَ اَلرَّحَى»؛[٣]

٦. أرَى تُرَاثي نَهْبا؛[٤]

٧. اصغيا بآنائنا و حَمَلا النَّاس عَلَي رِقابِنا؛

٨. انْ لنا حقٌّ إنْ نُعْطَهُ نأخُذْه وإن نُمْنَعْه نَرْكَبْ أعْجَاز الإبل وإن طَال السُّرَى؛[٥]

وهذه كناية من أنه إن لم يكن زمام الأمر والقيادة التي هي حقنا، بيدنا، فاننا نرى أنه من غير المصلحة اللجوء إلى القوة والقهر، وسنتبع التسامح والمماشاة.

---

١. نهج البلاغة، خ ٤، مع تغير طفيف.
٢. المصدر السابق، خ ١٧٢ و ٢١٧ مع تغير طفيف.
٣. المصدر السابق، ح ٣.
٤. المصدر السابق.
٥. المصدر السابق، خ ٢٢.

إن جملة الكتب السماوية التي نزلت في بداية الأمر، كانت منزهة عن أي شائبة وشبهة وعرضت على الناس على يد الرسل الإلهيين، لكن ابتعاد منصب الخلافة والإمامة عن أئمة الحق والمعصومين، عليهم السلام، وغصب مكانتهم من قبل أئمة الكفر، جعل الحق يختلط تدريجيا بالباطل، ما أدى إلى تحريف الكتب والتعاليم السماوية.

وفي كل عصر وبشأن كل نبي، هناك ثلاثة موضوعات مهمة أي اختلاط التعاليم وامتزاج التعاليم السائدة بين الناس بالتعاليم غير الوحيانية ما يؤدي إلى انتقائية الحق والباطل وبالتالي الإنحراف عن مسار الحق، بحيث يصاب الناس مرة أخرى بالشرك والكفر والنفاق ويستحقون العذاب في الدنيا والآخرة.

إن الإمام يتولى تكليف الزعامة والخلافة وإدارة كل العلاقات الثقافية والحضارية التي يحتاجها الناس، لكي يتم من خلال ممارسة الولاية وتطبيق الحدود الإلهية وصيانة الشريعة، حماية الحياة المادية والمعنوية والدنيوية والأخروية للناس وأن تتجه نحو الصلاح، وتبقى بمأمن عن جنود الشيطان، في حين أن النبي والرسول هو مبلغ ومبشر ونذير، ولابد أن يكون تكليف إعلان وتبليغ الرسالة الإلهية للناس، بعهدته.

وقال الإمام علي بن موسى الرضا، عليه‌السلام وهو يخطب بالناس:

«إن عليكم حقا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكم علينا حق به، فإذا أديتم ذلك وجب علينا الحق لكم».[1]

---

١. المفيد، الإرشاد، ص ٣١١.

إن «حقّ الإمام» هو أن يكون الإمام مبسوط اليد في ممارسة الولاية وتطبيق الحدود الإلهية، وحق الناس هو تجربة خير وفلاح وجنة الله في الدنيا والقيامة الكبرى.

إن «حقّ الإمام» هو مودة الناس والتفافهم حول ولاية المقربين من النبي الاكرم، صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. الإستسلام وتسليم جميع الأمور للإمام (الواجب الثاني)

بعد البحث عن الإمام والتحرك صوبه، لابد من الإستسلام له وتسليم ونقل جميع الأمور إليه. وفي كل سنوات الغيبة الكبرى، كان سائدا الحديث عن علائم الظهور وتطبيق العلائم الواردة في الروايات مع حوادث وظروف الساعة، وبالتالي تحديد المصاديق للإشخاص الطبيعيين والإعتباريين، ومازال ذلك سائدا اليوم بين الناس، لكن لا أثر للحركة ولا استسلام الناس وجهوزيتهم في هكذا اجراء مهم!

وفي عصر غلبة المذهب الإنساني في المجال النظري والليبرالية في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والأخلاقي، فانه يبدو من البساطة أن تدعي الديمقراطية تنظيم العلاقات السياسية وإدارة شؤون الحكم.

وفي عصر إمامة النفس الأمارة الفردية والجماعية واستسلام الصغير والكبير أمامها وبلغة بسيطة، في عصر ولاية التكنيك والتكنولوجيا، فان لا مكان لولاية إمام الحق. ويقول الإمام الصادق، عليه‌السلام:

«ولايُتنا وِلايةُ اللهِ التى لَمْ يبْعَثُ نَبيّا قَطّ إلا بِها»؛[١]

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٢؛ بحارالأنوار، ج ٧، ص ٣٢٦.

وفي الإسلام، يتجسد التسليم المطلق.

إن العبودية وكون المرء عبدا أمام مولاه، هو نتيجة التسليم واعتناق الاسلام، وهل يمكن القرع على طبل الأنانية ومحورية النفس الأمارة، والإتكاء في الوقت ذاته على متكأ العبودية.

إن فكرك ورأيك لا مكان لهما في عالم الشهامةفالأنانية والغرور كفر في هذا المذهب[١]

وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى، طاعة رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، والمعصومين، عليهم السلام، بمثابة طاعته وأوجبها على البشرية.

«يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُواالله وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنْكُمْ»؛[٢]

«وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيّاىَ فَارْهَبُونِ»؛[٣]

ويقول الإمام الصادق، عليهالسلام، في تفسير هذه الآية:

«أي أوفوا بولاية أمير المؤمنين، عليهالسلام، لكي أفي بعهدكم، أي أن أعطيكم الجنة».[٤]

إن وفاء الناس هو حركتهم صوب الإمام الحق ووفاء الإمام هو هداية الناس ليشهدوا جنة الرضوان الإلهي. وهنا يقول عليهالسلام:

«... نَحْنُ وَدِيعَةُ الله فِى عِبَادِهِ وَنَحْنُ حَرَمُ الله الاكْبَرُ وَنَحْنُ عَهْدُالله...»؛[٥]

إن أحد الإنتقادات اللاذعة التي وجهها أمير المؤمنين، الإمام علي، عليهالسلام، للذين كانوا قد قبلوا بقيادته، لكنهم قصروا في نصرته، هو لماذا لم يفوا بعهدهم واحجموا عن طاعته. واعتبر الإمام، عصيانهم بانه أحد أسباب هزيمتهم أمام جيش

---

١. الشاعر حافظ الشيرازي.
٢. سورة النساء، الآية ٥٩.
٣. سورة البقرة، الآية ٤٠.
٤. أصول الكافي، كتاب الحجة، ح ٨٩.
٥. المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٢، كتاب الحجة.

معاوية، بحيث أن طاعة جيش معاوية، لمعاوية شكل أحد اسباب انتصارهم. وكان جيش معاوية يطيع معاوية في الباطل، بينما أصحاب الإمام، عليه‌السلام، لم يطيعوه في الحق.

«وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيد الون منكم باجتماعهم علي باطلهم و تفرقكم عن حقكم و بمعصيتكم إمامكم في الحق و طاعتهم إمامهم في الباطل...».[١]

والعبارات التالية، هي نماذج من الإنتقادات التي وجهها الإمام علي، عليه‌السلام، لأصحابه بسبب عصيانهم:

١. مُنِيت بمن لا يُطيع إذا أمرت؛[٢]

٢. أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ؛

٣. فَلا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلا، وَلا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا؛

٤. ولكنْ لاَ رأيَ لمنْ لا يُطَاع؛

وقال الإمام هذا الكلام، ردا على الذين كانوا يقرون بشجاعته، لكنهم أنكروا علمه ومعرفته في إدارة الحرب.

والآن يجب مشاهدة أحوال الذين أراقوا دم إبن حرم الله، أي الإمام الحسين بن علي، عليهما السلام، في الشهر الحرام.

إن الظلم الكبير الذي مارسه بني أمية، هو إزالة جميع الجدران الأمنية والحمائية لدين الناس ودنياهم وآخرتهم، وتعريضهم لطوفان المعتدين والمتجاسرين طوال التاريخ. لقد أطلقوا يد الشيطان وجنوده على جسم وروح يتامى آل محمّد.

---

١. نهج البلاغة، صبح صالح، ص ٦٧.
٢. المصدر السابق، خ ٣٩.

عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) يَا خَيْثَمَةُ نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُـوَّةِ وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ وَمَفَاتِيحُ الْحِكْمَـةِ وَمَعْـدِنُ الْعِلْـمِ وَمَوْضِـعُ الرِّسَـالَةِ وَمُخْتَلَـفُ الْمَلائِكَةِ وَمَوْضِعُ سِرِّ الله وَنَحْنُ وَدِيعَةُ الله فِي عِبَادِهِ وَنَحْـنُ حَـرَمُ الله الاكْبَـرُ وَنَحْنُ ذِمَّةُ الله وَنَحْنُ عَهْدُ الله فَمَنْ وَفَـى بِعَهْـدِنَا فَقَـدْ وَفَـى بِعَهْـدِ الله وَمَـنْ خَفَرَهَا فَقَدْ خَفَرَ ذِمَّةَ الله وَعَهْدَهُ.[١]

٣. تجديد العهد مع الإمام (الواجب الثالث)

وكمـا هـو معمـول بـه فـي نهايـة جميـع الزيـارات وأثنـاء الخـروج مـن المراقـد والأضرحة، فان الزائر يتوجه نحو المزار ويسأل الله تعالى بالا يجعل هذه الزيارة آخر زيارة له، مثلما نقرأ في نهاية «زيارة عاشوراء»:

«وَلا جَعَلَهُ اللهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنّى لِزِيارَتِكُمْ»؛

إن توالي الأيام ومرور الزمن، يقوض العهود كما ان وساوس الشيطان والخوف الـذي يقذفـه فـي قلـوب البشـر، يجعـل الأرواح تنقلـب. ويـزين ابلـيس بهـاء وجـلال أصحاب السلطة والشوكة الدنيوية في أعينهم ويدفع الإنسان للتذلل، ويقدم الإنسان أحيانا على أنه الرازق ويوجه عيون الناس وقلوبهم نحو أيديهم. لذلك فان تجديد العهد هو تذكير بشان كل النسيان والحق المهدور لرجال أوجب الله تعالى على الجميع الذود عن حقهم.

وكان الكثير من العلماء العارفين وأولياء الله، يجددون العهد والميثاق مع إمام الزمان، عليه السلام بعد إقامة صلاة الفجر في صبيحة كل يوم.

---

١. المصدر السابق.

و «دعاء العهد» هو من أجمل «العهود» التي أوصى بها المعصومون، عليهم السلام، المؤمنين.

وفي هذا الدعاء، شأنه شأن باقي الأدعية والزيارات، وبعد الحمد والثناء على الله تعالى وتكريم أسماء الجمال والجلال، يقول مجدد العهد:

«اَللّـهُمَّ اِنّی اُجَدِّدُ لَهُ فی صَبیحَةِ یَوْمی هذا وَ ما عِشْتُ مِـنْ اَیّـامی عَهْـداً وَ عَقْداً وَ بَیْعَةً لَهُ فی عُنُقی، لا اَحُولُ عَنْها وَ لا اَزُولُ اَبَدا...»؛

إن من لا يجدد العهد، فليس بمحرم، بل أجنبي، يتسلق الجدران كالسارق. وكما يقول الإمام علي، عليه‌السلام، فان من يدخل البيوت من غير أبوابها فهو سارق.

وفي حياتنا وتعاملنا مع غيرنا من الناس، نرسم حدودا ونضع قيودا، وندافع عنها بتعصب.

بحيث أننا نعتبر أهل المنزل محارمنا ونجعلهم شركاء في ربح الأسرة وخسارتها، ونستر ثغراتهم وعوراتهم عن أعين غير المحارم، ولا نبوح باسرارهم لدى الآخرين.

إن محرم الاسرة يزداد نطاق تصرفه وتدخله في الممتلكات وحتى الأخبار والمعلومات والقرارات داخل الأسرة، على عكس غير المحارم. وقد يدخل بيننا ضيف غير محرم، يزور دارنا في وقت محدد مع حفظ بعض الإعتبارات والملاحظات، ويحضر بين أفراد الاسرة، وبعدها يرحل في ظل توديعه باحترام و تبجيل.

وغير المحارم الأجانب، لا تتاح لهم أصلا إمكانية الحضور إلى الدار. ويحدد مدى قرب الأفراد إلى البيت والاسرة، بمدى حضورهم ومساهمتهم وتدخلاتهم عمليا.

إن نطاق التدخل في جميع الشؤون وفي عموم العلاقات في أرجاء العالم، يتبع مدى القرب والترابط والمحرمية. ومن هنا يمكن فهم سبب إتساع نطاق حضور وعمل وحق التصرف لدى الأولياء الإلهيين لاسيما المعصومين، عليهم السلام، حول عامة ما خلق الله (سواء النبات والجماد والحيوان والانسان) وتوسع ولايتهم.

لقد بلغوا في التقرب والارتباط بالله مرحلة لم يبلغها جبرئيل، عليه‌السلام، حتى.

وتحدثنا سابقا عن معراج رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، ومروره بمرتبة خاصة. المرتبة التي لم يكن جبرئيل، عليه‌السلام، قادرا على عبورها.

ومن منا يمكن أن يشك بكون الله تعالى مبسوط اليد في الشؤون الجزئية والكلية لجميع المخلوقات وولايته وقدرته وتدخله وتصرفه في كل شؤون الكون؟!

إن هذه النسبة ومجال العمل والتدخل والتصرف، نابع من أن الله تعالى، هو خالق ورازق وصاحب ورب مخلوقاته وهو «فعال ما يشاء» الوحيد.

وبذلك وبما ان المعصومين، عليهم السلام، يقولون **«ولايَتُنا وِلايةُ الله»**، فان مدى تقربهم إلى الله المتعال، وفر هذا المجال والميدان الرحب، بان تكون لهم باذن الله، الولاية وحق التدخل والتصرف على مجمل المخلوقات.

فهؤلاء أكثر المخلوقات محرما عنداالله، وبذلك فهم أكثر الأفراد محرما حول جميع المخلوقات.

وجاء في «الزيارة الجامعة الكبيرة» التي يمكن قراءتها في مشهد أي من المعصومين،عليهم السلام، وبقصد زيارتهم:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّة، وَمَوْضِعَ الرِّسالَة، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَة، وَمَهْبِطَ الْوَحْي، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَة، وَخُزّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَاُصُولَ الْكَرَمِ،

وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ...»؛

وقد نال سلمان الفارسي في تقربه إلى أهل بيت النبوة، منزلة ومقاما، بحيث قال رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بشأنه:

«سَلْمانُ مِنّا أَهْلُ البَيْت»؛[١]

إن سلمان الفارسي لم تكن لتربطه أي نسبة وقرابة باهل بيت النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم. ولم يكن حتى عربيا، لكنه كان قد تقدم على الآخرين في المحبة والمودة لأهل البيت، عليهم السلام.

ودخل سلمان الفارسي يوماً إلى مسجد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم، فعظّموه وقدّموه وصدّروه؛ إجلالاً لحقّه وإعظاماً لشيبته واختصاصه بالمصطفى وآله صلوات الله عليه وعليهم، فدخل أحدهم فنظر إلى سلمان فقال: مَن هذا العجميّ المتصدّر فيما بين العرب؟! فصعد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم، المنبر فخطب فقال:

«... سلمانُ بحرٌ لا يَنزِف، وكنزٌ لا يَنفَد، سلمانُ منّا أهلَ البيت، سَلسَلٌ يَمنح الحكمةَ ويُوتى البرهان.»[٢]

وعن منصور بن زِبرِج: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه‌السلام: ما أكثرَ ما أسمعُ منك يا سيّدي ذِكرَ سلمان الفارسي! فقال: **لا تَقُلْ سلمان الفارسي ولكن قل سلمان المحمّدي، أتدري ما كثرةُ ذكري له ؟ قلت: لا، قال: لثلاث خصال، إحداها: إيثاره هوى**

١. ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ٢٢٤.
٢. جعفر مرتضى، سلمان الفارسي، ترجمة حسنين، ص ١٤.

أميرالمؤمنين عليه‌السلام على هوى نفسه، والثانية: حبُّه للفقراء واختياره إيّاهم على أهل الثروة والعدد، والثالثة: حبُّه للعلم والعلماء.

وعندما يتغاضى زائر بيت الله، عن كل التعلقات والإنتماءات ويدخل صحن «المسجد الحرام» وهو يرتدي قطعتي قماش أبيض من دون نقش لتأدية أعمال الحج، يبدأ طوافه من «ركن الحجر الأسود» (وعلى يساره الحجر الأسود) وهو يشير بيده اليمنى إلى الحجر الأسود. وكأنه يريد بذلك، تجديد بيعته وعهده مع الحجر الأسود بوصفه رمزا وعلامة ليد الله، ومن ثم ينهمك في الطواف.

وتنطوي بداية الطواف ونهايته على إبرام العهد وتجديده مع الإنسان المتكامل، الإمام المبين وحجة الله الحيّ.

إن من لا يُعاهد حجة الله في الأرض، ولا يُظهر محبته ومودته الخالصة له، فانه يكون في الحقيقية قد طاف حول حجر لا «بيت الله الحرام».

و «الكعبة» في صورتها، هي بيت من حجر وتقع في وسط صحن «المسجد الحرام»، وفي الحقيقة، الإمام المبين وحجة الله الحيّ، مثلما أن صورة الصلاة، هي الركوع والسجود وحقيقتها الإمام المبين، عليه‌السلام.

وورد في روايات أهل البيت، عليهم السلام ما مضمونه أن الحجر الأسود كان في العالم العلوي حقيقة وجوهرا نورانيا. وعندما كان آدم، عليه‌السلام، في الجنة، كان مستأنسا به، وهذا الجوهر النوراني شاهد على عهد وميثاق آدم، عليه‌السلام، في عبادة الله، وعندما هبط ادم من الجنة إلى الأرض، هبط الحجر الأسود من عالم الغيب إلى الأرض على هيئة حجر. ورأى ادم، عليه‌السلام، الحجر وعرفه وتذكر

الجنة وعهده المنسي. ومن ثم حمله وجدد عهده وقرر الله تعالى بان يذهب أبناء ادم عند هذا الحجر ليتذكروا الجنة برؤيته وعهدهم مع الله ويجددون هذا العهد.

وفي رواية عن النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله وسلم، اعتبر الحجر الأسود بانه يد الله اليمنى، وضعت على الأرض، وأن الناس ومن خلال لمسه وتقبيله يبايعون الله ويثبتون طاعتهم له.

ونقل عن الإمام الباقر، عليه‌السلام، ما مضمونه أن واجبات الله كانت تنزل واحدة تلو الأخرى، وكانت الولاية آخرها، إذ أنزل الله تعالى هذه الآية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي... ولم ينزل الله عليكم واجبا بعد ذلك وأكمل عليكم واجباته.

وفي حديث سلسلة الذهب الشهير، قال الإمام الرضا، عليه‌السلام: حدّثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمّد الباقر، عن أبيه على زين العابدين، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء، عن أبيه عليّ بن أبي طالب، أنّه قال :

حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله، صلى الله عليه وآله، عن جبرائيل أنّه قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه يقول: **كَلِمَة لا إله إلاّ الله حِصْني، فَمَنْ دَخَلَ حِصْني أمِنَ مِنْ عَذابي، بشَرْطِها وشُروطِها وأنا مِنْ شُروطها.** كما جاء حول ولاية أمير المؤمنين، عليه‌السلام:

«ولايَة عَلىّ بْنِ أبى طالِب حِصْنى فَمَنْ دَخَلَ حِصْنى أمِنَ مِنْ عَذابى».

إن عهد الإمامة يستقيم بكلمة **«لا إله إلاّ الله»**، لكن بشرط حماية ميثاق الولاية.

فالولاية هي شرط الدخول إلى الحصن الحصين ل **«لا إله إلاّ الله»** وشرط الإنضمام إلى حشد المؤمنين.

وفي تفسير الآيتين ٣٤ و ٣٥ من سورة الإسراء، **«وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً...»** نقل عن الإمام الكاظم، عليه‌السلام:

«العَهْد ما أَخَذَ النبيّ، صلى الله عليه وآله وسلم، عَلى النَّاس فى مَوَدّتِنا وطاعَة أمير المؤمنين أن لا يُخالفوه ولا يَتَقدّموه ولا يَقْطَعوا رَحِمِه وأعْلَمَهُم أنَّهُم مسؤولون عَنْه»؛[1]

وبعد هذا الحضور وانعقاد العهد القلبي والجماعي، سيصبح الإمام مبسوط اليد، وجاهزا للخروج من خلف ستار الغيبة والحضور البيّن بين الناس.

ويقول الكثير منا نحن الجماهير ونكتب حول أهل البيت، عليهم السلام، ونقيم المجالس ونلقي الخطب، لكننا نبيت في هذا الحوار القلبي، نية أخرى.

إن حُبّ المال وحبّ الجاه وحبّ النفس والخوف من فقدان هذه الأمور الثلاثة، يحول دون أن نخوض باخلاص هذا الحوار، فنمارس الرياء والتظاهر، ونخضع أمام ارباب القوة والمال والضلال ونقحم أنفسنا من علم أو دون علم، في ظلم آل محمّد، صلى الله عليه وآله وسلم.

فالإمام وقبل أن يكون بحاجة إلى جنود، هو بحاجة إلى أصدقاء حميميين وبلا رياء. إن من يحمل عهدا وميثاقا بغير العهد والميثاق مع الإمام المبين، لا يمكن له أن يدخل في جمع الأصدقاء المخلصين والمقربين، وطالما لا يتحول هذا العهد والميثاق إلى عهد قلبي جماعي، فانه لن يطرأ تحول وتطور هائل في العالم.

ومن بعد هذا، يتضح لنا الواجب الرابع، وهو:

---

١. بحارالأنوار، ج ٢٤، ص ١٨٧، ح ١.

٤. دعوة الناس نحو الإمام (الواجب الرابع)

وبناء على ذلك، أسميت الزيارة بانها معنى الحياة في عصر الغيبة، وإن كان يتم تكريم هذه السنة بحق، فان غيبة الإمام لما كانت أن تطول إلى يومنا هذا.

إن الحياة في عصر الغيبة، هي الحياة في إنتظار وطلب الإمام والدخول إلى عهد الإمام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الثالث من ربيع الثاني ١٤٣٤ للهجرة

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. معاني الأخبار المروية عن سادات الأبرار، إبن بابوية قمي، محمّدبن علي.

٣. المناقب، إبن شهر اشوب مازندراني، رشيد الدين محمّدبن علي.

٤. السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام (إبن هشام).

٥. الطبرسي، أحمدبن علي، الإحتجاج على أهل اللجاج.

٦. الكافي، الكليني، محمّدبن يعقوب.

٧. التوحيد، إبن بابوية قمي، محمّدبن علي.

٨. الحياة، حكيمي، محمّدرضا، طهران، مكتب نشر الثقافة الاسلامية.

٩. الدر المنثور، السيوطي، جلال‌الدين عبدالرحمن.

١٠. مسند، أحمدبن محمّدبن حبل.

١١. الفتوح، محمّدبن علي بن أعثم الكوفي.

١٢. تفسير الطبري، محمّدبن جرير الطبري.

١٣. الإرشاد في حجج‌الله على العباد، محمّدبن محمّدبن نعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد.
١٤. الميزان في تفسير القرآن، طباطبائي، محمّدحسين.
١٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمودبن عمر الزمخشري.
١٦. أنساب الأشراف، أحمدبن يحيى بلاذري.
١٧. أخبار الطوال، أحمدبن داوود دينوري.
١٨. أهل البيت في القرآن والحديث، محمّدي ري شهري، محمّد، قم، مؤسسة دارالحديث العلمية الثقافية، مؤسسة الطباعة والنشر.
١٩. بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، محمّدباقر.
٢٠. دراسة اسناد زيارة عاشوراء، مؤسسة ولي العصر(عج) للبحوث، مأخوذ من موقع جمعية مراقبة ايران الالكتروني على العنوان www.controliran.com
٢١. بصائر الدرجات، الحلي، حسنبن سليمان.
٢٢. بوستان سعدي.
٢٣. تحف العقول عن آل الرسول(ص)، حسنبن عليبن شعبة.
٢٤. تفسيرالقمي، قمي، عليبن ابراهيم.
٢٥. سلمان الفارسي، مرتضى عاملي، جعفر، ترجمة: سيدمحمّد حسيني، قم، رابطة مدرسي الحوزة العلمية في قم، مكتب الإصدارات الإسلامية، ١٣٧٣.
٢٦. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين، حموئي جويني، إبراهيمبن محمّد.
٢٧. داستان‌هاي شگفت، دستغيب، عبدالحسين.

٢٨. مفاتيح الجنان، قمي، عباس.

٢٩. معجم، دهخدا، علي أكبر.

٣٠. ديوان غزليات حافظ شيرازي.

٣١. المفردات في غريب القرآن، راغب اصفهاني، حسين‌بن محمّد.

٣٢. سفينة البحار، قمي، عباس.

٣٣. سودای روی دوست، آقاتهراني، مرتضى.

٣٤. رابطة وتوجهات امام زمان به امام حسين(ع) وشيفتگانش، موسوی مطلق، عباس.

٣٥. آيين رزم، سون وو، ترجمة: سيدجواد حسيني، هلال للنشر.

٣٦. البرهان في تفسير القرآن، هاشم بحراني.

٣٧. الخصال، إبن بابوية، محمّدبن علي.

٣٨. الفهرست، الطوسي، محمّدبن حسن.

٣٩. أعلام الورى باعلام الهدى، الطبرسي، فضل بن حسن.

٤٠. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، علي بن حسن.

٤١. راه وصال امام زمان(عج)، عبدالمهدي، حسين، طهران، مهتاب، ١٣٧٨.

٤٢. الغدير، الأميني، عبد الحسين.

٤٣. فرهنگ جامع سخنان امام حسين(ع)، تاليف: مجموعة الحديث بمعهد باقرالعلوم(ع) للبحوث، ترجمة: علي مؤيدي.

٤٤. گفتار فلسفی، فلسفی، محمّدتقي.

٤٥. كامل الزيارات، إبن قولوية، جعفربن محمّد.

٤٦. كتاب الغيبة، النعماني، محمّدبن ابراهيم.

٤٧. أصول الكافي، الكليني، محمّدبن يعقوب.

٤٨. كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابوية، محمّدبن علي.

٤٩. كلستان سعدي شيرازي.

٥٠. ديوان غزليات سعدي.

٥١. تفسير الخواطي، حسين ورام بن أبي فراس.

٥٢. مستدرك الوسائل، نوري، حسين بن محمّد تقي.

٥٣. مشارق الأنوار، عبد الرحمن بن محمّدبن دباغ.

٥٤. صباح المتهجد وسلاح المتعبد، الطوسي، محمّدبن حسن.

٥٥. معراج السعادة، نراقي، أحمدبن محمّدمهدي.

٥٦. مقتل الحسين، مقرم، عبدالرزاق.

٥٧. من لا يحضره الفقيه، إبن بابوية، محمّدبن علي.

٥٨. موسوعة كلمات الإمام الحسين، معهد باقر العلوم(ع) للبحوث.

٥٩. ميزان الحكمة، محمّدي ري شهري، محمّد، قم، دارالحديث.

٦٠. كتاب الإنسان الكامل، نسفي، عزيزالدين بن محمّد، ترجمة: ضياء الدين دهشيري، تصحيح ماريجان موله.

٦١. نفس الرحمن في فضائل السلمان، نوري، حسين بن محمّدتقي.

٦٢. نهج البلاغة، صبحي صالح.

٦٣. رسالة القرب الإلهي، وحيديان، صادق، تحت اشراف الدكتور حسين شاهرودي.
٦٤. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، محمّدبن حسن.
٦٥. صحيح البخاري، البخاري، محمّدبن اسماعيل.
٦٦. تفسير نور الثقلين، حويزي، عبدعلي بن جمعة.
٦٧. المرآة، روبرت فولغام، ترجمة: فاطمة إمامي.